الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم: اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: ...../.....

رقم التسجيل:1435097205

رقم التسجيل:1435097035

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص: لسانيات عامة

جماليات الالتفات في القرآن الكريم

إعداد الطالبتين

- سعاد بقريش

- رباب بوجلال

تاريخ المناقشة:2019/06/25

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

- د/ أستاذ محاضر	"الربيع بوجلال"	جامعة المسيلة	رئيسا
- د/ أستاذ محاضر	"موسى عتيق"	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
- د/ أستاذ محاضر	"أرفيس بلخير"	جامعة المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية :1439-1440هـ/ 2018-2019م

بسم الله الرحمن الرحيم

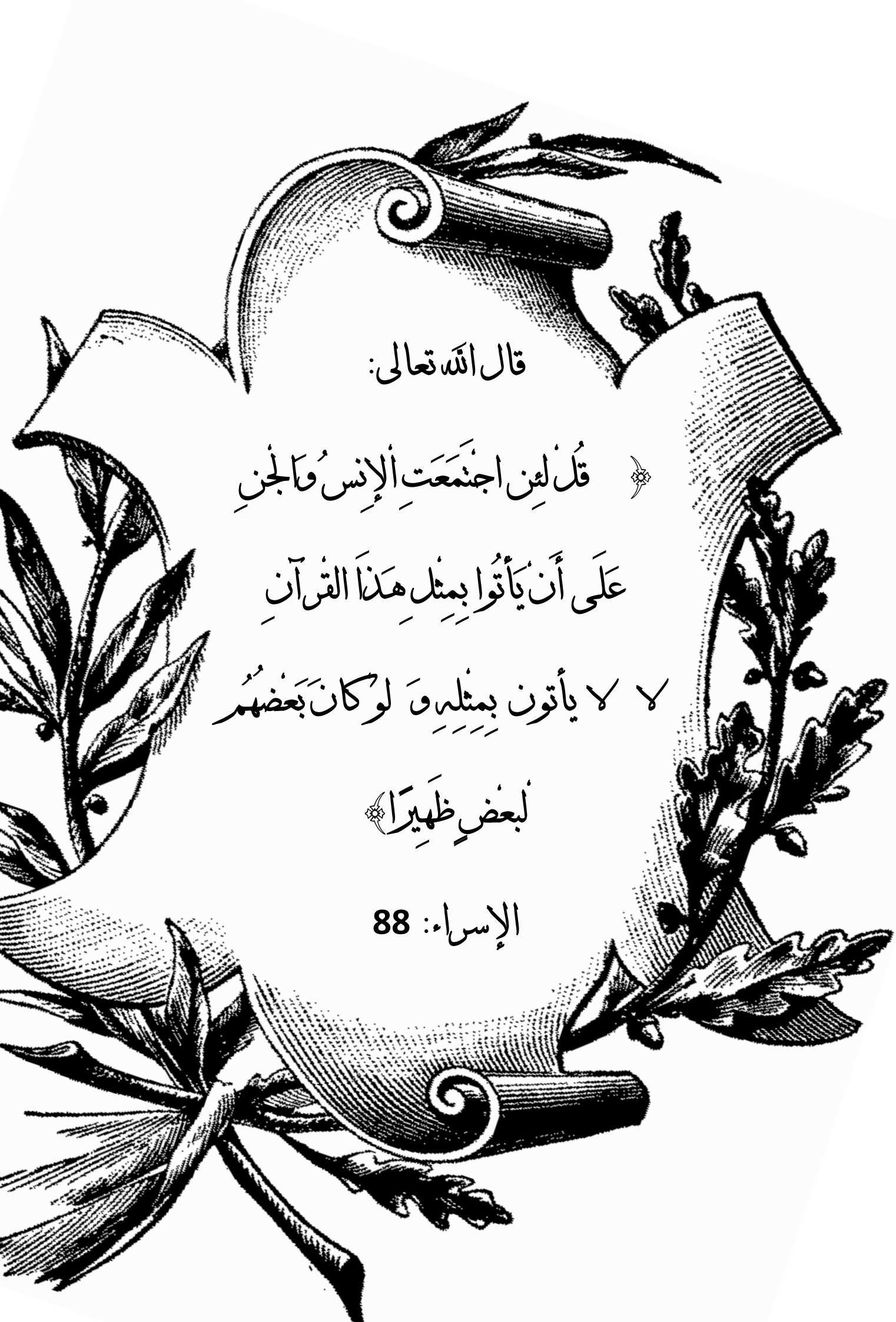

قال الله تعالى:

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ
عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ
لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ
لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾

الإسراء: 88

شكر وعرفان

قال تعالى :

(وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) إبراهيم

07:

نحمد الله ونشكره على توفيقه لنا في إتمام هذا العمل المتواضع والنبيل،

هانحن ذا نقطف ثمار سنتين من الدراسة ، ونضع كلمات فيه لكل من ترك

بصمة في حياتنا وساهم في توسيع مداركنا المعرفية . وقبل نمضي نتقدم بأسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة

الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة ومهدوا لنا طريق العلم والمعرفة .إلى جميع أساتذتنا الأفاضل، ونخص بالشكر والعرفان الأستاذ الدكتور "موسى عتيق " الذي تفضل بالإشراف على هذا العمل المتواضع، فجزاه الله كل خير كل التقدير والاحترام . وفي الختام نسأل الله أن يتقبل منا هذا العمل وأن يجعله

خال رضا لوجهه الكريم، وألاَّ يجعل للنفس منه حظًا ولا للشيطان منه نصيبا.

والله الموفق . والهادي إلى سواء السبيل.

إهداء

أهدي ثمرة جهدي المتواضع :

***إلى من علمني أبجديات الصبر وصنعني بتضحياته ، مصدر المحبة ، وينبوع العطاء ، ورمز التفاني والوفاء .**

*** إلى الذي رباني على الفضيلة والأخلاق ، أبي العزيز حفظه الله.**

***إلى التي علمتني الحياة وصنعت فيَّ الصفاء وعلمتني ان أكون وكيف أكون ؟*إلى التي لم أجد كلمة تُوفِي حقها ، قرة عيني أمي الحبيبة حفظها الله . إليهما أهدي هذا الجهد المتواضع علامة حب، وإجلال ، و وفاء لشخصيهما* الكريمين،معترفة بفضلهما**

عليَّ داعية الله عزوجل أن يجعل هذا العمل نوعا من برِّهما إنه جواد كريم.

***إلى أخوتي الأعزاء ، سدد الله خطاهم .**

*** إلى من عرفت معهن معنى الحياة، أخواتي الفضليات أنعم الله عليهن بالخير .**

***إلى كل عائلة "بقريش المسعود" كبيرا وصغيرا .**

***الى روح الطاهرة وافية رحمها الله وأسكنها فسيح جناته .**

***إلى كل صديقاتي اللواتي تقاسمت معهن حلو الحياة أدام الله عليهن إشراقة وجوههن .**

سعـــــــاد

أهدي ثمرة جهدي المتواضع :

***إلى من كان ينسج بأنامل يده سيرتي وتربيتي وطريقي .**

***إلى الذي لم يتأخر علي بشيء أفكر فيه في حياتي .**

*** *إلى الذي منحني من روحه طاقة ومن صبره صفة ومن صلحه ميزة.**

***إلى الذي لم يكلفه قلمي عن الشكر إلى روح أبي الطاهرة**

"محمد" رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه .

***إ *إلى من اختارت لي دربي بدعواتها وبركاتها، إلى أمي رعاها الله.**

***إلى اللواتي كن سندي وذقن معي طعم الحياة حلوها ومرها أخواتي**

البنات حفظهن الله .

***إلى الذين سيكونون من بعده خليفة، إلى ذخيرتي في الزمن إخوتي**

الذكور أنعم الله عليهم بالخير.

***إلى رفيقات دربي حفظهن الله .**

***إلى كل من نسيه قلمي ولم ينساه قلبي**

رهـــــاب

مقدمة

مـــــقدمـــــة:

الحمد لله الذي جعل الفصاحة محمل الأدباء، خير ما يعنى به، واستخرج لهم من كنز البراعة جواهرًا لنظم عقود البلاغة تقتنى، وأدنى لهم من بديع المعاني قطوفا جنوا من ثمراتها أفضل ما يجتني والصلاة والسلام على محمد الرسول المجتبى، وعلى آله وصحبه أئمة الهدى.

أما بعد: فإن منزلة علوم البلاغة من علوم العربية منزلة الروح من الجسد، ومستودع سرها، ومظهر جلالها، وأسمى الغايات من دراستها هو الوقوف على أسرار الإعجاز في القرآن الكريم، وفهم براعة أسلوبه وانسجام تأليفه.

وإن من ألوان البلاغة الالتفات الذي يعد من الأساليب البلاغية ذات اللطائف النفسية، كونه يقوم بتنشيط السامع وإيقاظه للإستماع، فالكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، وهذه التحولات في السياق القرآني، تفاجئ المتلقي وتثير دهشته؛ لخروجها عن المتوقع لديه من اطراد السياق على نمط واحد، مما يدعو ذلك المتلقي للبحث عن مثيراتها السياقية.

ومن هنا كان لزاما علينا أن نتعرف على هذا الموضوع واستنباط غرضه البلاغي لما له من أهمية في البلاغة العربية عموما وفي البلاغة القرآنية خصوصا.

***إشكالية البحث:** شهدت السنوات الأخيرة نشاطا علميا كبيرا خاصة تلك التي تعنى بعلم المعاني، ونخص بالذكر المباحث التي تدرس بعض قضايا شجاعة اللغة في القرآن الكريم، والتي منها الالتفات، وعليه قمنا بطرح الإشكالية التالية:

- أين تكمن جمالية أسلوب الالتفات في القرآن الكريم؟
- ما معنى الالتفات عند اللغويين والبلاغيين؟
- وما هي بلاغة الالتفات؟ وأهم شروطه؟
- وما هي ألوان الالتفات في القرآن الكريم؟

***أسباب اختيار الموضوع:** تعددت دوافع اختيارنا لهذا الموضوع وكان من أهمها:

1/**أسباب موضوعية:** أهمية القرآن الكريم في الدراسات اللغوية والبلاغية، فهو الأصل الأول من أصول العربية لما فيه من جلال المعاني وجمال المباني.

– دراسة أساليب القرآن والكشف عن أسرارها وما يكمن فيها من إعجاز وأسلوب الالتفات واحد منها.

– كون القرآن الكريم غنيًا بالأساليب، والالتفات من أكثر الأساليب تردُدًا وانتشارا فيه.

– الأثر الكبير للأساليب العربية، ودورها الكبير في بيان معاني الكتاب المجيد، واتساع آفاق الفهم له.

2/**أما الأسباب الذاتية:** فكانت رغبة منا في الكشف عن خصوبة ظاهرة من الظواهر اللغوية في إبراز جمالية وإعجاز القرآن الكريم.

– الرغبة في البحث في كتاب الله العزيز.

– الميل الشخصي والرغبة في إثراء معارفنا بهذا الموضوع .

***أهـــــداف البحث:** ومن خلال هذه الدراسة فإنا نهدف إلى إبانة روعة المعاني القرآنية، وأثر بعض الظواهر اللغوية في الخطاب القرآني.

– الوقوف على أسلوب الالتفات عند القدماء والمحدثين

– بيان أسلوب الالتفات عند أهل البلاغة، وبيان أنواعه وأغراضه مع التمثيل.

– الوقوف على الأسرار البلاغية لكل قسم من أقسامه.

***بنيـــة البـــــحث:** وقد وضعنا خطة تمكننا من التحكم في موضوع البحث وتساعدنا على تحقيق الأهداف المرجوة منه ؛حيث قسمنا هذه الدراسة إلى مدخل تمهيدي وفصلين ، الفصل الأول فقد جاء بعنوان:(الالتفات ماهيته وشروطه) وهو دراسة نظرية جاءت في مبحثين، تناولنا في المبحث الأول ماهية الالتفات وآراء القدماء والمحدثين فيه، في حين وقف المبحث الثاني عند شروط الالتفات ،مجالاته وأغراضه وفوائده ،أما عن الفصل

الثاني فتطرقنا فيه إلى تنوع صور الالتفات وبلاغته في القرآن الكريم دراسة تطبيقية وتناولنا فيه ما يلي :(الصيغ ، العدد ،الضمائر الأدوات ،البناء النحوي ،المعجم)،ثم جاءت الخاتمة لتوجز أهم ما توصل إليه البحث من نتائج.

***المنهـــج المتبع:** أما منهجنا في الدراسة فكان كالآتي:

اعتمدنا في الجانب النظري على المنهج الوصفي للإحاطة بأهم جوانب الموضوع، وذلك من خلال التعريف بأسلوب الالتفات وذكر مجالاته وأهم أغراضه وفوائده البلاغية.

أما في الجانب التطبيقي فقد اتخذنا من التحليل أداة مساعدة على تحليل صور الالتفات.

***الدراسات السابقة:** ولتحقيق مقتضيات البحث، هناك جملة من الأقلام التي نثرت حبرها على العديد من الكتب والدراسات، التي كانت مادةً خامًا في إجرائنا لهذا البحث نذكر منها:

الزركشي البرهان في علوم القرآن، الزمخشري الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، حسن طبل أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ابن الأثير المثل السائر... وفي المعاجم استعملنا ابن منظور لسان العرب، ابن فارس مقاييس اللغة.

ونظرا لإهمال الدراسات السابقة لبعض جوانب الموضوع المهمة، كدراسة الدكتور يوسف أبو العدوس" مدخل إلى البلاغة العربية "والدكتور أحمد مصطفى المراغي "علوم البلاغة" انطلقنا من بعض الهفوات التي أغفلها الدارسين في أبحاثهم وجعلناها منطلقا لدراستنا نذكر: منها الإيجاز المخل في شرح بعض الآيات القرآنية، والتركيز على تحليل الظاهرة أكثر من إبراز جانبها البلاغي والجمالي الذي يصنفه علم النص القرآني.

الصـــــعوبات: من طبيعة الأمور أن كل بحث لا يخلو من الصعوبات وهذه الصعوبات التي لا تخرج في مجملها عن تلك التي يمكن أن يلقاها أي باحث وتتمثل في صعوبة تحليل بعض المواد الموجودة في الكتب.

-ندرة المصادر والمراجع المباشرة في هذا الموضوع، إذ صادفنا قلة الدراسات السابقة قديما وحديثا في هذا المجال، اللهم إلا ما وجدناه متناثرا في التفاسير والدراسات القرآنية والبلاغية.

وكذلك صعوبة التعامل مع النص القرآني وإصدار الأحكام، ولكن نشير إلى أننا تجاوزنا كل هذه الصعوبات بفضل الأستاذ الدكتور "**موسى عتيق**" الذي لم يدخر جهدا في سبيل توجيهنا وإرشادنا بنصائحه وأفكاره الصائبة التي أسهمت في إنجاز هذه المذكرة فجزاه الله عن العلم وأهله خير جزاء ونحن لمدينين له ببالغ الشكر والعرفان.

ونرجو من كل ناظر- للبحث المتواضع – يطلع على عيب أن يدله عليه ويرشده إلى صوابه، فالدين النصيحة وإلى الله نتضرع أن يكتب لنا في هذا البحث وبعده النجاح والتوفيق وأن نحقق به النفع المرجو إن الله سميع الدعاء .

.

مدخل

مـــدخـــل:

سيظل القرآن الكريم شامخا وإعجازه عظيما باقيا إلى يوم الدين، فلقد اشتهر العرب قبل الإسلام بالفصاحة والبلاغة لدرجة عظيمة حيث كانت الأسواق تقام ويتبارى فيها الفصحاء والبلغاء والأدباء والشعراء كل يدلى بدلوه إما بالشعر وإما بالخطب وإما بالنصائح وإما بالحكم والأمثال .

من أجل ذلك جاء القرآن الكريم بفصاحته وبلاغته متحديا لهم على لسان رسول كريم ونبي أمي لايقرأ ولا يكتب فتحداهم جميعا أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا وسيظل القرآن متحديا لهم إلى يوم الدين يحمل بين سطوره برهان كماله وآية إعجازه يقول الله عز وجل:﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [سورة الشعراء:193-195][1].

حيث تذوق العرب القرآن بفطرتهم، ودهشوا لبلاغته حتى قال قائلهم :"وإن له لحلاوة،وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلى عليه"[2].

فالقرآن العظيم معجز من وجوه متعددة من حيث فصاحته وبلاغته ونظمه وتراكيبه وأساليبه وما تضمنه من أخبار ماضية ومستقبلية وما اشتمل عليه من أحكام جلية وقد تحدى ببلاغة ألفاظه فصحاء العرب كما تحداهم بما اشتمل عليه من معان صحيحة كاملة وهي أعظم في التحدي عند كثير من العلماء[3].

---

[1]- محمد حسين سلامة، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط1 (1423هـ-2002 م)، ص09.

[2]- ابن كثير، دلائل النبوة من طريق ابن عباس في باب اعتراف مشركي قريش بما فيه كتاب الله من الإعجاز السيرة النبوية ، تح: مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة ، بيروت،1402ه، ص 198،199.

[3]- محمد حسين سلامة،الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ، ص10.

وقد تطور فهم " إعجاز القرآن الكريم " في التاريخ الإسلامي، فبدأ باعتباره دليلا على النبوة، وشاهدا على مصدر القرآن الرباني، ثم انتقل ليكون دراسة بيانية بلاغية للتعبير القرآني، يبحث في مختلف مباحث البلاغة وأساليب البيان في القرآن.[1]

تعد البلاغة من أشرف علوم اللغة العربية، فهي العلم الذي يعنى بتجويد الكلام من أجل توصيله واضحا إلى الأذهان، وهي التي تمده بالجمال الذي يؤثر في العقول والقلوب، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن من البيان لسحرًا "فالبلاغة بمثابة السحر الحلال الذي يكون له سلطان وقوة الإقناع والتأثير في نفوس المخاطبين.[2]

فلا فضيلة لكلام على آخر إلا بما يكون فيه من لطائف الفصاحة والبلاغة وخصائص المعاني والبيان، لاسيما وأننا بها نعرف إعجاز القرآن، وفضائل التنزيل وندرك بها فصاحة أسلوبه، وانسجام تأليفه، والجاهل بأسرار البلاغة والمحروم من ثمارها لا يعرف الإعجاز إلا عن تقليد ومحاكاة، فخطرها عظيم وفضلها عميم، ولهذا اتجهت إليها أنظار العلماء من قديم، وظل التأليف فيها في مختلف العصور لا يني ولا يفتر، إلا أنه قد اعتراها فترة ركود...وعاش العلماء فيها على موائد غيرهم ممن سبقوهم، وظلوا يجترون مؤلفات من تقدمهم، يختصرون،ثم يشرحون ويضعون عليها الحواشي والتقارير حتى مزج الصفو بالكدر، وخلط الغرر بالعرر، وطال الحال كذلك، حتى هيأ الله للغة أعلاما في البلاغة ورؤوسا في البيان، فأعادوها إلى سالف مجدها وغابر عزها، وأجروا ماء الحياة في عروقها[3].

تتألف البلاغة العربية من علوم ثلاثة: هي المعاني، والبيان، والبديع، وميدان البلاغة الذي تعمل فيه علومها الثلاثة متضافرة هو نظم الكلام وتأليفه على نحو يخلع عليه نعوت الجمال، وإدراك سمات الكلام البليغ لا يتأتى إلا عن طريق الدروس والبحث والتأمل.

---

[1]- صلاح عبد الفتاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني ، دار عمار،عمان ، ط1(1421هـ- 2000م)، ص06 .

[2]- بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية، مقدمات وتطبيقات، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، ط1، كانون الثاني / يناير 2008، ص.30

[3]- عبد الفتاح لاشين ، المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم ، دار الفكر العربي،(1424هـ- 2003 م)، ص8.

ومن أجل هذا تبدوا الحاجة إلى دراسة البلاغة،فهي تكشف للمتعلم عن العناصر البلاغية التي يستطيع بالتمرس بها والتدرب عليها أن يأتي بالكلام البليغ.[1]

إن أعظم فائدة تعود على المرء من دراسة علوم البلاغة والإحاطة بها هي معرفة أسرار اللغة العربية، والإحاطة بخصائص أسلوبها، للاطلاع على أسرار إعجاز القرآن الكريم والاستعانة بها على فهم معانيه .

كما أن دراسة هذه العلوم، تطلعنا على أهم جانب من جوانب النقد في اللغة العربية شعرها ونثرها، وهو الجانب البلاغي الذي يهتم بمعرفة أسرار التراكيب وتصوير المعاني والأفكار، وعرض الأساليب في ألوان جمالية بديعة[2].

والحقيقة أن تقسيم البلاغة إلى علوم ثلاثة معان وبيان وبديع وتحديد كل منها بحد صحيح يفصله عن غيره.[3]

ولو لم يكن لعلوم البلاغة من سابغ الفضل على ذويها سوى الوصول إلى السر من إعجاز القرآن، وما حواه من محكم الصياغة، وروائع البلاغة، لو لم يكن لها سوى ذلك لكان لزاما على الناشئة من أبناء الإسلام أن ينهلوا من مناهلها ...فهي تكشف عما في العربية من نفائس لا تقف عند حد، كما أنها تعلن عن فضل اللغة من سائر اللغات حتى نزل بها القرآن الكريم فوسعته معنى وأسلوبًا.[4]

علم المعاني هو أحد علوم البلاغة الثلاثة المعروفة: المعاني والبيان والبديع، وقد كانت البلاغة العربية في أول الأمر وحدة شاملة لمباحث هذه العلوم بلا تحديد أو تميز. وكتب المتقدمين من علماء العربية خير شاهد على ذلك ففيها تتجاوز مسائل علوم البلاغة ويختلط بعضها ببعض من غير فصل بينها [1].

---

[1]- عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1 (1427هـ- 2006م)، ص03.

[2]- حسن إسماعيل عبد الرزاق ، البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط1 (2007م)، ص08 .

[3]- ابن عبد الله شعيب، الميسر في البلاغة العربية دروس وتمارين، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص 04 .

[4]- عبد الفتاح لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرآن ،ص 74 .

[1] -عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص17 .

علم المعاني هو علم تعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال بحيث يكون وفق الغرض الذي سِيق له وموضوعه دراسة اللفظ العربي من حيث إفادته المعاني الثواني التي هي الأغراض المقصودة للمتكلم من جعل الكلام مشتملا على تلك اللطائف والخصوصيات التي بها يطابق مقتضى الحال فالكلام يفيد بأصل وضعه معنى يسمى" المعنى الحقيقي "أو "الأصلي " ولكنه قد يخرج أحيانا عن المعنى الذي وضع له أصلا ليؤدي معنى جديدا يفهم من السياق[2].

عرف **السكاكي** علم المعاني بأنه :<< تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره>> فهذا التعريف ينبني على عنصرين أساسيين:

1/تركيب الكلام وتأليفه وفق قواعد النحو.

2/ وضع هذا الكلام حسب ما يناسبه من مقام، وهو المعبر عنه بمقتضى الحال[3].

الغرض منه جليل فهو يكشف عن أسرار الجمال في القرآن الكريم ومعرفة إعجازه، وما خصه الله به من جودة السبك، وحسن الوصف، وبراعة التراكيب ولطف الإيجاز، وما اشتمل عليه من سهولة التراكيب، وجزالة كلماته، وعذوبة ألفاظها وسلامتها[4].

درس علماء البلاغة ضمن تتبعهم لموضوعات علم المعاني ظاهرة الخروج عن مقتضى الظاهرة في الكلام البليغ لداع من الدواع البلاغية ذات التأثير في النفوس، والأفكار لما فيها من عناصر فنية إبداعية تتضمن دلالات فكرية او تعبيرات جمالية، أو إلماحات ذكية[1].

---

[2] -عبد اللطيف شريفي، زبير دراقي، الإحاطة في علوم البلاغة، دار المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004م، ص 15،16

[3] - بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، ص39،40 .

[4] – محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة (البديع – البيان والمعاني) ، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس – لبنان،2003م ، ص260 .

[1]- عبد الرحمان الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها، دار القلم، دمشق ، ط1(1416هـ-1996م)،ج1، ص478 .

الأصل في الكلام أن يكون على مقتضى الظاهر، ولكنه قد يخرج على خلافه لنكتة أو سبب من الأسباب، ولهذا الخروج أساليب مختلفة أهمها: وضع المضمر موضع المظهر، وضع المظهر موضع المضمر، والقلب، والتغليب والأسلوب الحكيم، والالتفات، والانتقال من خطاب الواحد لخطاب الاثنين، والانتقال من خطاب الواحد الى خطاب الجمع، والانتقال من الاثنين إلى الواحد، والانتقال من الاثنين إلى الجمع، والانتقال من الجمع إلى التثنية[2].

في مورثنا البلاغي والنقدي طائفة من المصطلحات التي تواردت مع مصطلح الالتفات في الدلالة على ظاهرة "التحول الأسلوبي " التي نود في هذا المبحث رصدها، واستجلاء دورها البياني المعجز في لغة القرآن الكريم من بين هذه المصطلحات"**العدول** " و "**مخالفة مقتضى الظاهر** " و"**شجاعة العربية**"وما إلى ذلك.

غير أننا قد آثرنا مصطلح الالتفات عنواناً لتلك الظاهرة لشيوعه وكثرة تردده في هذا الموروث بالقياس إلى تلك المصطلحات من جهة، واستقلاله –دونها– بمبحث من مباحث البلاغة لاسيما في عصورنا المتأخرة من جهة أخرى، ولأن معالجات البلاغيين له قد أدت إلى تحديد طبيعة هذه الظاهرة والكشف عن كثير من ألوانها وأسرارها البيانية والجمالية من جهة ثالثة[1].

ويعد لونا من ألوان الصياغة يعين ذا الموهبة الصادقة على الإيحاء بكثير من اللطائف والأسرار ويلفت النفس المتلقية الواعية إلى كثير من المزايا، وكلما أمعنت النظر في مواطنه من الكلام الرفيع بانت لك وجوه من الحسن تزيدك إحساسا بقدرته[2].

ويهدي الذوق الأدبيُّ السليم إلى استخدام الالتفات استخداما بارعا يحقق به البليغ فوائد في نفس المتلقي أو فكره ،مع ما يحققه من الاقتصاد والإيجاز في العبارة.[3]

---

[2]- يوسف أبو العدوس ، مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني – علم البيان- علم البديع، دار المسيرة، عمان، ط1(1427هـ-2007م)، ص 103 .

[1]- حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، (1418هـ-1998م)، ص11.

[2]- محمد أبو موسى، خصائص التراكيب، مكتبة وهبة، القاهرة، ط4 (1416هـ-1996م)، ص 249 .

[3]- عبد الرحمان الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، ص480.

تعد ظاهرة الالتفات من أكثر الظواهر البلاغية ترددا وأوسعها انتشارا في القرآن الكريم ،ومع ذلك لم تظفر بدراسة مستقلة تحاول رصد صورها، واستجلاء بعض ما تشعُّه في ذلك البيان الخالد من قيم وأسرار.

لقد أورد البلاغيون كثيرا من صور تلك الظاهرة في القرآن الكريم، غير أن إيرادهم لتلك الصور– لم يكن في الأعم الأغلب – من أجل تحليلها والوقوف على دورها التعبيري والتأثيري في السياقات التي وردت فيها، بل إما من أجل التمثيل بها لتلك الظاهرة ، أو الدفاع عنها بوصفها من " مشكل القرآن أو " متشابه القرآن "

.

الفصل الأول

الالتفات ماهيته وشروطه

المبحث الأول

ماهية الإلتفات وآراء القدماء والمحدثين فيه.

م1: مفهومه.

أ- لغة .

ب-إصطلاحا.

م2: آراء القدماء فيه.

م3: آراء المحدثين فيه.

المبحث الثاني

شروط الالتفات مجالاته وأغراضه.

م1: شروطه.

م2: مجالاته.

م3: أغراضه وفوائده.

***المبحث الأول: ماهية الالتفات وآراءالقدماءوالمحدثين فيه.**

م1: مفهومه:

أ-لغة: الالتفات من مادة (ل.ف.ت) وفي هذه المادة تقول المعاجم:

<< لفت وجهه عن القوم: صرفه، والتفت التفاتا، والتلفت أكثر منه وتلفت الى الشيء والتفت اليه: صرف وجهه إليه وقال:

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا

يلاحظني من حيث ما اتلفت.

وقال:

فلما أعادت من بعيد بنظرة ** إليَّ التفاتا أسلمتها المحاجر.

واللفت: اللي ولفته يلفته لفتا: لواه على غير جهته ولفته عن الشيء يلفته لفتا: صرفه ولفت فلانا عن رايه أي صرفته عنه >>.[1]

وجاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس ما يلي:<< لفت اللام والفاء والتاء كلمة واحدة تدل على اللي وصرف الشيء عن جهته المستقيمة منه لفت الشيء : لويته، لفت فلانا عن رأيه: صرفته والألفة :الرجل الأعسر،وهو قياس الباب؛ واللفتية: الغليظة من العصائد ،لأنها تُلفت ،أي تلوى ،وامرأة لفوت لها زوج ولها ولد من غيره فهي تَلْفَتْ إلى ولدها ،ومنه الالتفات،وهو أن تعدل بوجهك،وكذا التلفت، قال أبو بكر:ولفْتُ اللحاء عن الشجرة :قشرته >>.[2]

والالتفات من الأساليب البلاغية ذات اللطائف النفيسة ،وقد تكرر في القرآن المجيد استخدامه جداً، وله فيه أمثلة كثيرة منها:[3]

[1]- ابن منظور ، لسان العرب، دار صادر ، بيروت، ط4(2005م)، ج13، مادة(ل.ف.ت)، ص 214،215.

[2]- ابن فارس، مقاييس اللغة ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1(1420هـ- 1999 م)،ج2، مادة (ل.ف.ت)، ص481.

[3]- عبد الرحمان الميداني ،البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص 480 .

قوله تعالى:﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ٧٨﴾[يونس :78].أي لتصرفنا عنه وتميلنا وتلوينا .[1]

*نستنتج مما سبق ذكره أن الالتفات بتراكيبه واستعمالاته المختلفة يدل على معنى الصرف واللي عن الجهة المستقيمة.

ب –اصـــــطلاحا:<< الالتفات في اصطلاح البلاغيين هو: << التحويل في التعبير الكلامي من اتجاه إلى آخر من جهات أو طرق الكلام الثلاث :<< التكلم – والخطاب – والغيبة >> مع أن الظاهر في متابعة الكلام يقتضي الاستمرار على ملازمة التعبير وفق الطريقة المختارة أولا دون التحول عنها >>.[2]

*أي أنه التنقل في التعبير الكلامي من اسلوب إلى آخر (التكلم والخطاب والغيبة) وبذلك يخرج عن مقتضى الظاهر .

<< أوهو:<< العدول من اسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول >>.[3]

*هذا التعريف يجعل الالتفات مرادفا لأسلوب العدول ،ويدخله ضمن الخروج عن مقتضى الظاهر.

م2: آراء القدماء فيه:

في موروثنا البلاغي طائفة من المصطلحات التي تطرق إليها علماؤنا القدامى، وتناولوها بالشرح والتفسير، أو أشاروا إليها، ولعل من أبرزها ظاهرة الالتفات، الذي تناوله كل منهم تحت المبحث الذي يراه مناسبا، فمنهم من جعله تحت مبحث علم المعاني، ومنهم من جعله تحت مبحث علم البيان، وآخر جعله تحت مبحث علم البديع، كما اختلفوا في تسميته.

<< وقد تنبه إلى هذا الأسلوب **أبو عبيدة** (ت207هـــ) – وإن لم يسمه – فيقول :

[1]- عاطف فضل محمد، البلاغة العربية، دار المسيرة ، عمان ، ط2 (1436هـ-2015م)، ص 248 .
[2]- عبد الرحمان الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، ص 479.
[3]- بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية، ص 182.

<< ومن مجاز ما جاءت به مخاطبة الشاهد، ثم تُركَت، وحُوِّلت مخاطبة هذه إلى مخاطبة الغائب، قول الله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [يونس :22] أي بكم >> .[1]

<< وقد تبعه في دراسة هذه الآيات **أبو زكريا الفراء** ولكنه لم يسمه الترك والتحويل كما ما أسماه أبو عبيدة، وإنما سماه الانتقال >>.[2]

<< ولعل **الأصمعي** (ت217هـ) هو الذي أطلق عليه الاسم الاصطلاحي لأول مرة، فقد روى أنه سأل بعض من كان يتحدث إليهم، أتعرف التفاتات جرير؟ فقال:له لا، فماهي؟ قال: **أتَنْسَى إذ تُودِّعُنَا سُلَيْمَى ** يَعُودُ بَشَامَة، سُقِيَ البَشَامُ.**

ألا تراه مقبلا على شعره، ثم التفت الى البشام فدعا له فقال:

طَرِبَ الحَمامُ بذي الأراك فشَاقَنِي ** لازلتَ في غَلَلٍ، وأيْكٍ ناضر.

فالتف الى الحمام فدعا له >>[3].

أما **ابن المعتز** فقد عرف الالتفات بأنه :<< هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك. ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر>> .[4]

وقد جعله ابن المعتز على نوعين: نوع ينصرف فيه المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار الى المخاطبة وما يشبه ذلك، وهذا هو الذي يصدق على الالتفات في الآية

---

[1]- عبد الفتاح لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم، ص 188.

[2]- محمد حسنين أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 130.

[3]- عبد الفتاح لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم، ص 188،189 .

[4]- ابن المعتز، البديع، دار المسيرة، بيروت، ط3 (1402هـ-1982م) ، ص58 .

القرآنية المذكورة آنفا عند أبي عبيدة، ونوع ثان ينصرف فيه المتكلم عن معنى يكون فيه الى معنى آخر أو بعبارة أدق: بعد أن يفرغ من المعنى وتظن انه سيجاوزه يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره به >>[1].

<< ولقبه **ابن جني** << شجاعة العربية>> والسبب في تلقيبه بذلك هو أن الشجاعة هي الإقدام، والرجل إذا كان شجاعا فإنه يرد الموارد الصعبة، والبليغ أيضا لديه من الشجاعة الأدبية والمقدرة البيانية التي يستطيع بها مخاطبة الآخرين بأساليب مختلفة، والتنقل معهم بين طرائق الكلام الثلاث << التكلم، والخطاب، والغبية >>.[2]

أما **أبو الهلال العسكري** فقد خصص فصلا كاملا للالتفات وجعله في ضربين يقول :<< الالتفات على ضربين: فواحد أن يفرغ المتكلم من المعنى فإذا ظننت أنه يريد أن يجاوزه يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره به... والضرب الآخر أن يكون الشاعر آخذًا في معنى وكأنه يعترضه شك، أو ظن أن ردًا يرد قوله أو سائلا يسأله عن سببه فيعود راجعا الى ما قدمه ... فإما أن يؤكده، أو يذكر سببه، أو يزيل الشك عنه ...>>.[3]

ويصرح **الباقلاني** أن معنى الالتفات هو الاعتراض وقد جاء في كتابه إعجاز القرآن ما يلي :<< ومثل ذلك لجرير:

متى كان الخيام بذي طلوح ** – سُقِيت الغيْثَ –أيتها الخيام؟

معنى الالتفاتات أنه اعتراض في الكلام قوله :<< سقيت الغيث >> ولو لم يعترض لم يكن ذلك التفاتا، وكان الكلام منتظما، وكان يقول :<< متى كان الخيام بذي طلوح أيتها الخيام >>؟ فمتى خرج عن الكلام الأول ثم رجع إليه على وجه يلطف – كان ذلك التفات.[1]

---

[1]- شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط9، ص30،31.

[2]- بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية، ص 182 .

[3]- أبي هلال العسكري، الصناعتين، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط2(1409هـ- 1989 م)، ص 438،439.

[1] - الباقلاني، إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر، ص 99 .

أما **أبي منصورالثعالبي** فقد خصص للالتفات فصلا في كتابه "فقه اللغة وسر العربية " وقد عرفه بأنه :<< هوأن تذكر الشيء وتتم معنى الكلام به، ثم تعود لذكره كأنك تلتفت إليه ، كما قال أبو الشعب:

فارقت شَعْبا وقد قوست من كبري ** لَبِئْسَتِ الخَلَّتَانِ: الثُّكْلُ والكِبَرُ.

فذكر مصيبته بابنه مع تقوسه من الكبر، ثم التفت الى معنى كلامه فقال: لبِئْسَت الخَلَّتان، وكما قال الله زوجل :﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ﴿٦١﴾ ﴾[طه:21].

فنهى عن الافتراء ثم وعد عليه فقال:(وقد خاب من افترى).[2]

<<وقد أشار**ابن رشيق القيرواني** إلى أن الالتفات هوالاعتراض عند قوم، وقال في بيانه: << وسيلة أن يكون الشاعر آخذا في معنى ثم يعرض له، غيره فيعدل عن الأول الى الثاني، فيأتي به ثم يعود إلى الأول ثم ذكر من أمثلته قول كثير:

لو أن الباخلين وأنت منهم ** رأوك تعلموا منك المقالا

فقوله و" أنت منهم " اعتراض كلام في كلام، ثم أشار ابن رشيق الى أن أكثر البلاغيين على جمع الالتفات والاعتراض في شيء واحد، وإن قليلا منهم من يفرق بينهم>>[3].

وقد بين **الزمخشري** في كتابه الكشاف عن القيمة الفينة للالتفات ،<< ومؤدي رأي الزمخشري في ذلك أن الالتفات يحقق فائدتين : إحداهما عامة – في كل صورة – وهي إمتاع المتلقي وجذب انتباهه بتلك النتوءات أو التحولات التي لا يتوقعها في نسق التعبير ، والأخرى خاصة تتمثل فيما تشعه كل صورة من تلك الصور – في موقعها من السياق الذي ترد فيه – من إيحاءات ودلالات خاصة يقول الزمخشري في ذلك :<< لأن الكلام

[2] - أبي منصور الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تح: إيميل نسيب، دار الجيل، بيروت، ص475 .
[3]- محمد حسنين أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، ص 129 .

إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد ، وقد تختص مواقعه بفوائد >>.[1]

أما **ابن الأثير** في كتابه المثل السائر فيعرف الالتفات بقوله :<< وحقيقته مأخوذة من التفات الانسان عن يمينه وشماله، فهو يقبل بوجهه تارة كذا، وتارة كذا. وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة، لأنه ينتقل فيه من صيغة إلى صيغة، كانتقال من خطاب حاضر الى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر، أو من فعل ماض إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى ماض، أو غير ذلك مما يأتي ذكره مفصلا >>[2].

وقال **السكاكي:** هذا غير مختص بالمسند إليه، ولا بهذا القدر، بل التكلم والخطاب والغيبة مطلقا ينقل كل واحد منها الى الآخر، ويسمى هذا النقل << التفاتا >> عند علماء المعاني كقول ربيعة بن مفروم:

بانت سعاد فأمسى القلب معمود ** وأخلفتك ابنة الحر المواعيد

فالتفت كما ترى حيث لم يقل "وأخلفتني ".

والمشهور عند الجمهور أن الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها، وهذا أخص من تفسير السكاكي، لأنه أراد بالنقل أن يعبر بطريق من هذه الطرق عما عبر عنه بغيره منها، فكل التفات عنده من غير عكس>>[3].

ويعرف **الزركشي** صاحب "البرهان في علوم القرآن" الالتفات بأنه :<<هو نقل الكلام من أسلوب الى أسلوب آخر تطرية واستدراراً للسامع، وتجديدا لنشاطه، وصيانة لخاطره من الملال والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سمعه، كما قيل:

لا يُصلح النفس إن كانت مصرَّفة ** إلا التنقل من حال إلى حال[1]

---

[1]- حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص 26 .

[2]- ابن الأثير، المثل السائر، تح: أحمد الحوفى، بدوي طبانة، دار نهضة، مصر، ط2، ج2، ص 168،169 .

[3] - عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، القاهرة (1420هـ-1999م) ،ج1، صفحة 114،115.

[1]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ج3، ص 314 .

*نستنتج مما سبق ذكره أن العلماء القدامى قد نبهوا على الالتفات وأشاروا إليه منذ القدم، وما ذلك إلا لأهمية هذا الأسلوب في إيصال تلك المعاني العظام بأدق صورة، وايصالها إلى ذهن السامع والقارئ، ويعد القرآن الكريم، أكبر شاهد على ذلك ففيه العديد من مواضع الالتفات بمختلف أنواعه ومن خلال تتبع الالتفات عند البلاغيين تبين أنه استقر على النحو الآتي :هو الانتقال من أسلوب إلى أسلوب آخر أو الانصراف عنه إلى آخر، فمنهم من أسماه بالترك، التحويل، الاعتراض،العدول ،الانتقال ...

م3 : آراء المحدثين فيه :

أما المحدثون وعلى رأسهم الدكتور **عبد القادر حسين** فيعرف الالتفات بأنه:<< هو الانتقال بأسلوب من صيغة الخطاب أو الغيبة أو التكلم إلى صيغة أخرى من هذه الصيغ بشرط أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائدا في الأمر نفسه إلى الملتفت عنه ،بمعنى أن يعود الضمير الثاني على نفس الشيء الذي عاد إليه الضمير الأول >>[2].

ويعرفه الدكتور **عبد الفتاح لاشين** بقوله:<< هو الانتقال بالأسلوب من صيغة المتكلم، أو الخطاب، أو الغيبة، إلى صيغة أخرى من هذه الصيغ، بشرط أن يعود الضمير الثاني على نفس الذي يعود عليه الضمير الأول >>[3].

أما الدكتور **أحمد مصطفى المراغي** صاحب كتاب علوم البلاغة(البيان والمعاني والبديع) يرى أن الالتفات هو :<< فن من البلاغة، ملاكه الذوق السليم، والوجدان الصادق، ويلقب (بشجاعة العربية) لأن فيه ورود الموارد الصعبة واقتحام مضايق الأساليب وحقيقته التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة: التكلم، والخطاب، والغيبة، بعد التعبير عنه بطريق آخر منها >>[1].

[2]- عبد القادر حسين، فن البلاغة، دار غريب، القاهرة ،2006م، ص173 .
[3]- عبد الفتاح لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم، ص188.
[1]- أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، ص 141 .

كما يعرفه الشيخ **أحمد الحملاوي** في قوله:<< هو عند الجمهور نقل الكلام من التكلم أو الخطاب أو الغيبة لغيره منها >>[2].

وقال فيه الدكتور **عاطف فضل محمد:**<< هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاث: التكلم والخطاب والغيبة، بعد التعبير عن ذلك المعنى بطريق آخر من الطرق الثلاث بشرط أن يكون التعبير الثاني على خلاف ما يقتضيه الظاهر ويترقبه السامع، ومثال ذلك :

نام الخلي ولم يرقْدِ ** **تطاول ليلك بالإثمد

فقد انتقل من الغيبة (يرقد) الى الخطاب في (ليلك) >>[3].

ويعرف الدكتور **يوسف أبو العدوس** الالتفات بأنه:<< التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاث التي هي التكلم والخطاب والغيبة، بعد التعبير عن معنى بطريق آخر من الطرق الثلاث، بشرط أن يكون التعبير الثاني على خلاف ما يقتضيه الظاهر ويترقبه السامع>>[4].

كما يعرفه **حسن إسماعيل عبدالرزاق** بأنه:<< التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة : التكلم ، والخطاب، والغيبة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها >>[5].

*نستنتج مما سبق ذكره أن العلماء المحدثين يرون أن الالتفات هو الانتقال بالكلام بأحد من الطرق الثلاث ألا وهي : التكلم والخطاب والغيبة .

***المبحث الثاني : شروط الالتفات مجالاته وأغراضه .**

م1: شروطه:

<<يورد البلاغيون شرطين أساسيين في أسلوب الالتفات:

[2]- أحمد الحملاوي، زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع، المكتبة التوفيقية، القاهرة – مصر ، ص63.
[3]- عاطف فضل محمد، البلاغة العربية ، ص 247 .
[4]- يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية ، ص 103.
[5]- حسن إسماعيل عبد الرزاق، البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، ص 133 .

أحدهما: وجود جملتين يستخدم في الجملة الثانية أسلوب مغاير للأسلوب الأول، يخرج به عن مقتضى ظاهر الكلام، وما يترقبه المتلقي .

ثانيهما: أن يكون الضمير في الأسلوب الأول، عائدا في الوقت نفسه إلى الأسلوب الثاني كقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾[الفاتحة:2-5].

فضمير الغيبة في (**ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ**) هو نفسه ضمير الخطاب (**إِيَّاكَ نَعۡبُدُ**) >>[1].

*كما هو ملاحظ فإن الشرطين المذكورين أعلاه يشيران إلى أن الالتفات يجري خلال العلاقة بين جملتين، حيث تختلف الجملتين الأولى والثانية من حيث الأسلوب .

*كما نلاحظ في الشرط الثاني أن الأسلوب الأول والأسلوب الثاني مرتبطان والرابط الذي يجمع بينهما هو "الضمير ".

يقول **الزركشي**:<< تقدم أن شرط الالتفات أن يكون الضمير في المتنقل إليه عائدا في نفس الأمر إلى المتنقَل عنه؛ وشرطه أيضا أن يكون في جملتين، أي كلامين مستقلين حتى يمتنع بين الشرط وجوابه وفي هذا الشرط نظر ،فقد وقع في القرآن مواضع ،الالتفات فيها وقع في كلام واحد؛وإن لم يكن بين جزأي الجملة،كقوله تعالى:﴿**وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٢٣**﴾.

[سورة العنكبوت:23].

وقوله تعالى:﴿ **وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ ۝٥٠** ﴾.

[الأحزاب :50]

[1]- بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية، ص182 .

بعد قوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ ﴿٥٠﴾ ﴾، والتقدير: إن وهبت امرأة نفسها للنبي ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ﴾، وجملتا الشرط والجزاء كلام واحد[1].

ذكر" يوسف أبو العدوس " بعض الشروط لأسلوب الالتفات نذكر منها :

1/ وجود تعبيرين يستخدم في ثانيهما طريق مغاير لطريق الأول .

2/مخالفة التعبير الثاني مقتضى ظاهر الكلام ومترقب السامع >>.[2]

*نلاحظ من خلال هذين الشرطين أن الجملتين الأولى والثانية تختلفان من حيث التعبير، وهذا الاختلاف ينتج عنه خروج عن مقتضى ظاهر الكلام .

م2: مجالاته:

1/- الالتفات من التكلم إلى الخطاب :

ووجهه حث السامع وبعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلم عليه، وأنه أعطاه فضل عناية وتخصيص بالمواجهة[3] كقوله تعالى:﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة يس : 22].

<<الأصل (وإليه أرجع) فقد التفت من التكلم (ومالي لا أعبد) إلى الخطاب فقال:﴿ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ وكان مقتضى الظاهر أن يقال :<<وإليه أرجع >>.

لذا جعلوه من الالتفات، وفيه نظر لأنه؛ إنما يكون منه القصد الإخبارَ عن نفسه في كلتا الجملتين، وهاهنا ليس كذلك، لجواز أن يكون أراد بقوله:﴿ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ المخاطبين؛ ولم يرد نفسَه، ويؤيده ضمير الجمع، ولو أراد نفسه لقال:<<نرجع>>[1].

*وقد التفت من التكلم إلى الخطاب ،وفائدته أنه أخرج الكلام، بغية نصحهم ، ثم التفت إليهم لكونه في مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله.

---

[1]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 331،332 .

[2]- يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية (علم المعاني- علم البيان – علم البديع) ص 103 .

[3]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ج3، ص315 .

[1] - بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، ص 184 .

2/- الالتفات من التكلم إلى الغيبة: ووجهه أن يفهم السامع أن هذا نمط المتكلم وقصده من السامع، حضر أو غاب، وأنه في كلامه ليس ممن يتلون ويتوجه، فيكون في المضمر ونحوه ذا لونين، وأراد بالانتقال إلى الغيبة الابقاء على المخاطب ؛ من قرعه في الوجه بسهام الهجر، فالغيبة أروح له، وأبقى على ماء وجهه أن يفوت كقوله تعالى:﴿ **إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢** ﴾ [الكوثر: 1-2] .

حيث لم يقل :<<لنا>> تحريضا على فعل الصلاة لحق الربوبية[2].

كان الكلام بضمير المتكلم << **إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ**>> ثم انتقل إلى ضمير الغائب << **لِرَبِّكَ** >> لأن الاسم الظاهر هومن قبيل الغيبة، والأصل أن يقول :<<فصل لنا>>[3].

*كما هو ملاحظ في سياق الآية الكريمة أنه قد عبر عن المعنى أولا بطريق التكلم في قوله <<إنا أعطيناك>> ثم التفت فعبر ثانيا بطريق الغيبة في قوله:<< فصل لربك>>.

-لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة – وكان مقتضى السياق أن يقال:<< فصل لنا>>.

*وفائدة الالتفات هنا هي التحريض على فعل الصلاة لحق الربوبية والتنبيه على أن الصلاة لا تكون إلا لله.

3/ **الالتفات من الخطاب إلى التكلم:**

وهذا إنما يتمشى على قول من لم يشترط أن يكون المراد بالالتفات واحدا؛ فأما من اشترطه فلا يحسن أن يمثل به، ويمكن أن يمثل بقوله تعالى:﴿ **وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ۝٩٠** ﴾[هود :90] [1].

عبر عن المعنى أولا بطريق الخطاب في قوله :<<**وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ** >> ثم التفت فعبر عنه ثانيا بطريق التكلم ، فقال :<< إن ربي رحيم ودود >> وكان مقتضى السياق أن يقال :<< إن ربكم >>[2].

---

[2]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص216،217 .

[3]- بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، ص 183 .

[1]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص318.

*نلاحظ في هذه الآية: الانتقال من ضمير الخطاب إلى التكلم وذلك لحكمة وهي إثبات صفة الرحمة والمودة لله تعالى كما يليق به سبحانه .

4/- من الخطاب إلى الغيبة:

قوله تعالى :﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِى ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[يونس :22].

فقد جاء بضمير الخطاب (**كُنتُم**)؛ ثم انتقل إلى الغائب، فقال: (**وَجَرَيۡنَ بِهِم**)، ولم يقل (وجرين بكم)[3].

*في هذه الآية الكريمة جاء الكلام بأسلوب الخطاب ثم انتقل إلى ضمير الغائب ، وذلك أن هذه الظاهرة التي تحدث عنها النص القرآني ليسوا جميع المخاطبين، بل هناك فريق منهم والحكمة من هذا الانتقال هي إشعارهم بالتأنيب على ما يكون منهم.

5/- من الغيبة إلى التكلم:

قول الله عزوجل في سورة فاطر:﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ ﴾.

الكلام في صدر الآية جار وفق أسلوب الحديث عن الغائب :﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا﴾ وبعد ذلك انتقل إلى أسلوب التكلم فقال تعالى:﴿فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا ٱلۡأَرۡضَ بِهِ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾.[1]

---

[2]- عبد الفتاح لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم، ص.184

[3]- بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، ص183 .

[1]- عبد الرحمان الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص490 .

وفائدته أنه لما كان سوق السحاب إلى البلد إحياء للأرض بعد موتها بالمطر، دالاً على القدرة الباهرة، والآية العظيمة التي لا يقدر عليها غيره، عدل عن لفظ الغيبة إلى التكلم؛ لأنه أدخل في الاختصاص وأدل عليه وأفخم[2].

وفائدة هذا الالتفات إيقاظ الأذهان للتفكر في منة الله على عباده الذي يقدر أسباب رزقهم ويسوقها، وللتفكر في مظهر من مظاهر قدرته التي يحيي بها الأرض الميتة، الذي يشبهه إحياء الموتى يوم القيامة ، إذا جاء فيه تحدث الرب الجليل عن نفسه بضمير المتكلم العظيم :<< فسقناه –فأحيينا به >>[3].

*هنا عدل عن لفظ الغيبة إلى التكلم، وذلك لبيان قدرته الباهرة التي لا يقدر عليها غيره، والتي تتجلى في إحياء الأرض الميتة، الذي يشابه إحياء الموتى يوم القيامة .

6/– من الغيبة إلى الخطاب :

إن الرجوع من الغيبة إلى الخطاب إنما يستعمل للتفنن في الكلام والانتقال من أسلوب ،تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء، كما في قوله تعالى :

﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا إِنَّ ﴿٢١﴾ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾

[الانسان: 21–22].

عبرعن المعنى أولا بطريق الغيبة فقال :<< **رَبُّهُم**>> ثم التفت فعبر ثانيا بطريق الخطاب فقال << **لَكُمْ**>> وكان مقتضى السياق أن يقال << لهم >>[1].

*انتقل من أسلوب الغائب إلى المباشرة بالخطاب، حيث عبر أولا بالضمير "هم " وعبر ثانيا بطريق الخطاب في قوله :<<**لَكُمْ**>>وهذا ما اقتضاه السياق.

بالإضافة إلى هذه الأنواع أضاف حسن طبل أنواع أخرى تتجلى فيما يلي:

- الصيغ.

[2]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص320 .
[3]- عبد الرحمان الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص490.
[1]- عد الفتاح لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم، ص190.

- العدد.
- الضمائر.
- الأدوات.
- البناء النحوي.
- المعجم.

وهذا ما سنجني قطوفه للتمثيل له.

م3:أغراضه وفوائده:

للالتفات فوائد عامة وخاصة، فمن الفوائد العامة التفنن والانتقال من أسلوب إلى آخر، لما في ذلك من تنشيط السامع، واستجلاب صفاته، واتساع مجاري الكلام، وتسهيل الوزن والقافية[2].

وأما الفوائد الخاصة فتختلف باختلاف الحالة، ومواقع الكلام فيه على ما يقصده المتكلم ومنها :

1/**قصد تعظيم شأن المخاطب:** كما في قوله تعالى:﴿ **ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥** ﴾

[الفاتحة:1-5].

فالانتقال من خطاب الغائب الى الحاضر، أفاد تعظيم شأن المخاطب .[1]

2/**التنبيه على ماحق الكلام أن يكون الكلام واردا عليه:** كقوله تعالى :﴿ **وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٢٢** ﴾ [سورة يس: 21-22] .

أصل الكلام :<< ومالكم لا تعبدون الذي فطركم >>.

[2]- عاطف فضل محمد، البلاغة العربية، ص 248 .

[1]- يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، علم المعاني – علم البيان – علم البديع، ص 105 .

3/ **أن يكون الغرض به التتميم لمعنى مقصود للمتكلم** : فيأتي به محافظة على تتميم ما قصد إليه من المعنى المطلوب، كقوله تعالى:﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥﴾[سورة الدخان:4-5].أصل الكلام(إنا مرسلين رحمة منا) [2].

4/قصد المبالغة: كقوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾[سورة يونس:21-22].

5/**قصد الدلالة على الاختصاص** : كقوله تعالى :﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝٩ ﴾

[سورة فاطر:8-9] [3].

6 /**قصد الاهتمام:** كقوله تعالى :﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝١٢ ﴾.[سورة فصلت:11-12].

فعدل عن الغيبة في <<**قَضَىٰهُن**>>و<<**أَوْحَى**>>إلى التكلم في <<**وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا** >>للاهتمام بالإخبار عن نفسه، فإنه تعالى جعل الكواكب في سماء الدنيا للزينة والحفظ...فعدل إلى التكلم والإخبار عن ذلك، لكونه مهما من مهمات الإعتقاد، ولتكذيب الفرقة المعتقدة بطلانه .[1]

7/ قصد التوبيخ: كقوله تعالى:﴿**وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۝٨٩** ﴾[سورة مريم:88-89].

---

[2]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص328،329 .

[3]- يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، علم المعاني – علم البيان – علم البديع، ص 105.

[1]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص330 .

عدل عن الغيبة إلى الخطاب للدلالة على أن قائل مثل قولهم ينبغي أن يكون موبخا ومنكرا عليه، ولما أراد توبيخهم على هذا أخبر عنه بالحضور، فقال << لقد جئتم >> لأن توبيخ الحاضر أبلغ في الإهانة له [2].

وقد ذكر الميداني فوائد للالتفات نذكر منها:

الفائدة الأولى: فنية التنويع في العبارة المثير لانتباه المتلقي، والباعث لنشاطه في استقبال ما يوجه له من كلام والإصغاء إليه، والتفكير فيه .

الفائدة الثانية: الاقتصاد والإيجاز في التعبير.

الفائدة الثالثة: الإعراض عن المخاطبين، لأنهم عن البيانات معرضون أو مدبرون وغير مكترثين .

الفائدة الرابعة: إفادة معنى تتضمنه العبارة التي حصل الالتفات إليها، وهذا المعنى لا يستفاد إذا جرى القول وفق مقتضى الظاهر[1].

من خلال ما تم التطرق إليه نستنتج :أن مزايا الالتفات لا حصر لها، لأن لكل التفات مزية خاصة به يقتضيها المقام، إذ يحقق عدة أغراض بلاغية أهمها: التعظيم التنبيه ، المبالغة، الاختصاص، الاهتمام، والتوبيخ .... والالتفات وإن كانت له فوائد جليلة يقتضيها المقام، إلا أنه أيضا يثير انتباه السامع ويحدد نشاطه للإصغاء إلى تلك الفوائد .

[2]- يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، علم المعاني – علم البيان – علم البديع، ص 105 .
[1] - عبد الرحمان الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص483.

الفصل الثاني

تنوع صور الالتفات وبلاغته في القرآن

- الصيغ.
- العدد.
- الضمائر.
- الأدوات.
- البناء النحوي.
- المعجم.

أسلوب الالتفات هو أحد المسالك التعبيرية أو الألوان البلاغية التي يشيع استخدامها في لغة القرآن الكريم، بل لعله أكثر هذه الألوان ترددا وأوسعها انتشارا في ذلك البيان الخالد... وفي ضوء هذا المفهوم الواسع للالتفات نود أن نحدد أبرز المجالات التي تحقق فيها القرآن الكريم، وأن نتوقف في تناولنا التفصيلي لكل مجال منها إزاء بعض الصور أوالعبارات القرآنية التي تنتمي إليه، كي نستجلي بعض ما يومض به هذا اللون البلاغي فيها من قيم وأسرار [1].

- الصيغ.
- العدد.
- الضمائر.
- الأدوات.
- البناء النحوي.
- المعجم.

[1] - حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص .56

أولا: الصيـــغ:

يتحقق الالتفات في هذا المجال كلما تخالفت صيغتان (في نسق واحد) من مادة معجمية واحدة، في ذلك مثلا: [1].

أ- المخالفة بين صيغتي الفعل.

ب-المخالفة بين صيغتي الاسم.

ج-المخالفة بين صيغ الأفعال.

د-المخالفة بين الاسم والفعل.

يقول صاحب المثل السائر في دقة هذا اللون من ألوان الالتفات:[2] << واعلم أيها المتوشح لمعرفة علم البيان أن العدول عن صيغة من الألفاظ الى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية، اقتضت ذلك، وهو لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي اطلع على أسرارها، وفتش عن دفائنها. ولا تجد ذلك في كل كلام، فإنه من أشكال ضروب علم البيان، وأدقها فهمًا وأغمضها طريقًا>>.[3]

وفيما يلي سنتناول بعض الصور القرآنية كي نستجلي في كل صورة منها بعض ما تحفل به في سياقها من قيم وأسرار فنية:

أ/ المخالفة بين صيغتي الفعل:

1- **(نزل -أنزل)**ومن ذلك قوله تعالى:﴿ **نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ** ۝٣ ﴾[آل عمران :3].

أن لفظ "نزّل" يقتضي التكرار لأجل التضعيف، تقول: ضَرَبَ مخففا لمن وقع ذلك عليه مرة واحدة، ويحتمل الزيادة والتقليل أنسب وأقوى. أما إذا قلنا: ضَرَّب بتشديد الراء فلا يقال إلا لمن كثر ذلك منه، فقوله تعالى:<< **نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ** >> يشير إلى تفصيل

[1] - حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص56.
[2] - نفسه، ص56.
[3] - ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص180 .

المنزل وتنجيمه بحسب الدعاوي وأنه لم ينزل دفعة واحد، أما لفظ "أنزل" فلا يعطي ذلك إعطاء نَزَّل وإن كان محتملا وكذا جرى في أحوال الكتب،فإن التوراة إنما أوتيها موسى عليه السلام جملة واحدة في وقت واحد[1].

لقد حاول كثير من المفسرين استكناه السر في هذا التحول: فذهب أكثرهم إلى أن صيغة<< فعَّل>> هي للمبالغة والتكثير، والقرآن الكريم نزل نجمًا نجماً على عشرين سنة، بخلاف الكتابين قبله فقد نزل كل منهما جملة، ولما كان الأمر كذلك خُولِفَ بين صيغتي النزول، فعبر عن القرآن بصيغة" فعّل" وعبر عن التوراة والإنجيل بصيغة " أفعل" الخالية من معنى المبالغة والتكثير. [2]

وجاء في كتاب الزمخشري :<< وإن قلت: لما قيل<<نزّل الكتاب>> <<وأنزل التوراة والإنجيل>>؟ قلت: لأن القرآن نزل منجما، ونزل الكتابان جملة، وقرأ الأعمش:<< نزل عليك الكتاب>> بالتخفيف ورفع الكتاب.[3]

*ورد في الآية الكريمة مخالفة بين صيغتي الفعل (فعَّل)، (نزّل)، وصيغة (أفعل) ،(أنزل) وهو تحويل بين صيغتي الفعل الماضي (نزّل – أنزل)، ويكمن سر هذا التعبير بين صيغتي النزول أن :الأولى(نزَّل) جاءت للدلالة على المبالغة والتكثير، أما الثانية (أنزل) فقد جاءت خالية من المبالغة والتكثير .

2 ــ (اسْطَاع، استطاع):

وذلك في قوله تعالى:﴿ **فَمَا ٱسۡطَٰعُواْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا** ﴿٩٧﴾[الكهف :97] .

[1] - الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان، ج1 ، ص 76 .

[2] - حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص56،57.

[3]- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1(1418هـ-1998م)، ج1، ص526 .

وجاء في قول الزمخشري (**ٱسۡطَٰعُوٓاْ**) بحذف التاء للخفة؛ لأن التاء قريبة المخرج من الطاء، وقرئ (فما اصطاعوا) بقلب السين صاداً، وأما من قرأ بإدغام التاء في الطاء، فملاق بين ساكنين على غير الحد[1].

يقال (استطاع واستاع واسطاع)، والأول الأصل، ثم يحذفون أحد الحرفين تخفيفا، فجيء أولا بالفعل مخففا عند إرادة نفي قدرتهم على الظهور والصعود فوقه، ثم جيء بأصل الفعل مستوفى الحروف عند نفي قدرتهم على نقبه وخرقه، ولا شك أنَّ الظهور أيسر من النقب، والنقب أشد عليهم وأثقل، فجيء بالفعل مخففا مع الأخف، وجيء به تمام مستوفى مع الأثقل، فتناسب، ولو قدر بالعكس لما تناسب.

وأيضا فإن الثاني في محل التأكيد لنفي قدرتهم على الاستيلاء على السد وتمكنهم منه، فناسب ذلك الإطالة، وهذا يفتقر إلى بسط وبيان، مع أن الأول أولى[2].

أنَّ الصيغتين وإن تواردتا على معنى واحد فإن كل منهما ظلالها وإيحاءاتها الخاصة في آدائه، وهذا سر إيثار كل منهما في موقعها من نسق الآية، فكل منهما في سياق النفي يعني العجز في<<**ٱسۡتَطَٰعُواْ** >> هو الشيء بعد التعلق به، وتكلف محاولته، وبذل الجهد في سبيل تحقيقه، أم العجز في << **ٱسۡطَٰعُوٓاْ**>> فهو العجز المؤنس الذي يئد في النفس بواعث الأمل في سبيل تحقيقه[3].

*ومما جاء في الالتفات في هذه الآية المباركة من عجائب أسلوب القرآن الكريم، السد الذي أقامه ذو القرنين لقوم لبو الاستغاثة به من ظلم يأجوج ومأجوج، فما استطاعت هذه الأخيرة أن تصعد فوق السد، لشدة إرتفاعه وملاسته مما أشعرهم باليأس، وما استطاعوا أن ينقبوه من أسفله لبعد عرضه وقوته.

[1]- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج3، ص.616

[2]- الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ج2، ص323،324.

[3]- حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص 54،55 .

ومن هنا كان العدول عن صيغة (اسطاعوا) والتي تعني عجز التسليم عند اطلاعه على ما يمكن خلف تلك الظواهر من خفايا وأسرار إلى صيغة(استطاعوا) والتي تعني عجز المحاولة عند التعلق بظواهر تلك الأحداث، وبالتالي فإن كلا من الصيغتين اللتين نحن بصددهما تواردتا على معنى واحد واستخدمتا منفيتان كي تدلا على العجز عن تحقيق ذلك الأمر.

3- **(نجّى – أنجى):**

يتجلى ذلك على سبيل المثال في قوله سبحانه وتعالى في سياق تذكير بني إسرائيل بنعمته عزوجل عليهم: قوله تعالى :﴿ **وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٤٩﴾** ﴾ [البقرة:49].

ثم قوله في الآية التالية لتلك الآية مباشرة (مع التحول عن نجّى إلى أنجى) ﴿ **وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾** ﴾[البقرة :50][1].

ونلاحظ أن القرآن لم يأت بالصيغة التي تدل على هذه الحقبة من حيث الزمن، فهو يعرض عن الماضي الذي يصور ما حدث لأجدادهم في زمن موسى وقبله، ويصور هذا الحدث بالصيغة التي تدل على الحضور و المشاهدة،وكأن الأمر يقع بهم، لا بأجدادهم وكأنه يقع بهم الآن .

والغرض من ذلك: وضع الأمر بين أيديهم وعرضه على أبصارهم ليرقق قلوبهم ويصرفهم إلى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم .

وهذا التصرف أقدر على تحريك القلوب، وأكثر استثارة للعواطف و الوجدان وأقرب إلى بعث الخشية والخضوع للملك الديان[1].

[1] – حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص 67.

[1]- عبد الفتاح لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم ، ص 187.

والمعنى الذي تؤديه كل من (نجّى – أنجى) واحد وهو تخليص الإنسان مما يهدده من أخطار، ولكن يبقى بعد ذلك أن لكل منهما خصوصيتها في تأدية هذا المعنى، وقد سبق أن أشرنا إلى أن الفارق بين فعّل (بتشديد العين) وأفعل هو أن الأولى منهما تتفرد دون الثانية بالدلالة على تكثير المعنى وتأكيده والمبالغة في إثباته[2].

*نلاحظ من الآيتين الكريمتين عدول عن الصيغة المشددة المفيدة لمعنى المبالغة والتكثير في (نجَّاكم) إلى الصيغة المخففة في (أنجاكم)، غير أنه مع الأولى(نجيناكم) فيها تذكير بنعمة الله عليهم حين أنقذهم من بطش آل فرعون وأتباعه إذ شملت بني اسرائيل في ذواتهم تعذيبا، وفي أبنائهم تذبيحا وفي نسائهم استحياء ،أما في الثانية (أنجيناكم) فقد كان فقط من خطر الغرق الذي كانت به نهاية الظالمين، وبالتالي كان التحول والالتفات عن كل منهما إلى الأخرى، وهنا يكمن سر هذه المخالفة بين الصيغتين في التعبير عنها .

ب/ المخالفة بين صيغتي الاسم:

1/-(ضلال-ضلالة):

<<وذلك في قوله عزوجل في الإخبار عن قوم نوح وتكذيبهم له عليه السلام ﴿**قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٦٠ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦١** ﴾[الأعراف:60-61] .

يقول الزمخشري: <<فإن قلت: لم قال:<< **لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ** >> ولم يقل: ضلال كما قالوا؟ قلت: الضلالة أخص من الضلال، فكانت أبلغ في نفي الضلال عن نفسه، كأنه قال: ليس بي شيء من الضلال، كما لو قيل لك: ألك تمر، فقلت: مالي تمرة[1].

لقد كان مقتضى السياق أن ينفي نوح عليه السلام تهمة الضلال عن نفسه بصيغة المصدر <<**ضَلَٰلٖ** >> التي وردت بها تلك التهمة على لسان قومه، ولكنه عدل عن تلك الصيغة

2- حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص67.

[1] - الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،ج2، ص454.

إلى صيغة اسم المرة<< ضَلَٰلَةٌ>> مبالغة في النفي؛ وذلك لأن المصدر يدل على القليل والكثير، أما اسم المرة فلا يدل إلا على الفعلة الواحدة، ونفي الأدنى أو الأقل أبلغ من نفي الأكثر.

لقد جاء الاتهام بالضلال على لسان الملأ مؤكدا مبالغا فيه عن طريق التعبير بفعل الرؤية–المفيد لمعنى التثبت واليقين– وتأكيده بـــإن واللام، ثم تعديته بحرف الجر "في" المفيد لمعنى الإحاطة والظرفية، وقد اقتضى ذلك أن يسلك نفي هذا الاتهام– على لسان نوح عليه السلام– مسلكا آكدا وأبلغ من إثباته، فكان الالتفات عن صيغة المصدر إلى اسم المرة[2].

*لقد كان مقتضى ظاهر السياق أن ينفي نوح عليه السلام عن نفسه تهمة الضلال بصيغة المصدر (ضلال)، لكنه عدل عنها إلى صيغة اسم المرة (ضلالة)، وكان الالتفات هنا ذا مغزى مهم هو المبالغة في النفي، فنفى الأدنى أو الأقل أبلغ من نفي الأكثر.

2/– (الحياة – الحيوان) :

وذلك في قول الحق تبارك وتعالى:﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤ ﴾[العنكبوت :64].

ومما جاء في كتاب الكشاف للزمخشري ما يلي:

<<ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُ >> أي ليس فيها إلا حياة مستمرة دائمة خالدة لا مَوتَ فيها، فكأنها في ذاتها حياة ، والحيوان: مصدر حي، وقياسه حييان، فقلبت الياء الثانية واوًا، كما قالوا: حيوة، في اسم رجل، وبه سمى ما فيه حياة: حيوانا قالوا: اشتر من الموتان، ولا تشتر من الحيوان وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحياة، وهي ما في بناء فعلان من معنى الحركة و الاضطراب، كالنزوان و النغصان واللهبان، وما أشبه ذلك. والحياة: حركة، كما أن الموت سكون، فمجيئه على بناء دال على معنى

[2] - حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص 71، 72.

الحركة، مبالغة في معنى الحياة، ولذلك اختيرت على الحياة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة[1].

وقد حفلت الآية الكريمة بما يدعم هذا التحول، ويعمق دلالته على سمو الحياة الآخروية بالقياس إلى الحياة الأولى فلنتأمل :

– بينما بُولِغ في إثبات معاني اللهو واللعب للحياة الأولى بأسلوب القصر <<ما–إلا>> بولغ في المقابل في إثبات معنى الحياة للدار الآخرة بـــإن واللام وتعريف طرفي جملة الخبر<< **لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُ** >>.

– بينما وردت صيغة الحياة مقيدة بالوصف <<الدنيا>> وردت صيغة الحيوان مطلقة بلا وصف، وذلك للإشعار بأن الحياة الآخروية في تساميها أبعد من أن يحيط بها الوصف[2].

*في هذه الآية تحول من صيغة "الحياة" إلى صيغة <<الحيوان>> وهو تحول يبين لنا سمو الحياة الآخروية بالقياس إلى الحياة الأولى، لذلك اختيرت صيغة "الحيوان" في هذا الموضع من أجل المبالغة .

3/–**(مشتبه – متشابه) :**

وذلك في قول الحق تبارك وتعالى:﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٩٩**﴾[الأنعام :99].

يقول الزمخشري:<<اشتبه الشيئان وتشابها>>كقولك:<<استويا وتساويا>>والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا وقرئ: متشابها وغير متشابه، وتقديره: الزيتون متشابها، وغير

[1]- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،ج 2، ص560 .
[2] -حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص72 .

متشابه، والرمان كذلك... والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه، في القدر، واللون، والطعم[1].

وورد فيما بعد من هذه السورة:﴿ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ ﴾ [الأنعام :99] فورد في الآية الأولى:<< مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ >> وفي الثانية:<< مُتَشَٰبِهًا >> وفي الأولى :﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ﴾[الأنعام :99].

وفي الثانية: ﴿ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴿١٤١﴾ ﴾

[الأنعام :141] ، يسأل عن المختلف في الآيتين مع اتحاد مرماهما ؟

والجواب عن الأول: أن مشتبها ومتشابها لا فرق بينهما إلا ما لا يعد فارقا إذ الافتعال والتفاعل متقاربان، أصولهما: الشين والباء والهاء من قوله أشبه هذا هذا إذا قاربه وماثله، (ورد) في أولى الآيتين على أخف البناء وفي الثانية على أثقلهما رعيا للترتيب المتقرر[2].

والواقع أن النفس لا تطمئن إلى القول بتوحد المعنى بين صيغتي(اشتبه–تشابه) وبالتالي لا تطمئن إلى ما ترتب على هذا القول من آراء في تفسير تبادلهما في نسق القرآن، فكل منهما تدل على التماثل – في الهيئة أو الخواص والأوصاف – بين الشيئين أو الأشياء، إلا أن هناك فارقا يمليه الحس اللغوي بينهما في أداء هذا المعنى؛ حيث تختص أولاهما << اشتبه>> بالدلالة على ما اشتد فيه التماثل وقويت درجته إلى حد تلتبس معه الأشياء المتماثلة وتختلط فلا يستطاع تمييز أحدهما عن الآخر، أما الثانية <<تشابه>> فتختص بما لا يبلغ فيه التماثل هذا الحد من الالتباس والاختلاط أي أنها تعني مجرد التماثل في بعض الوجوه والصفات[1].

[1]- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ،ج4، ص379،380 .
[2]- الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، ص 166.
[1] -حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص79 .

*نلاحظ من خلال ما سبق ذكره أن كثيرا من المفسرين من يرى أن هاتين الصيغتين <<مشتبه–متشابه>> بمعنى واحد، والبعض الآخر يرى أنهما متمايزتان، فكل منهما تدل على التماثل في الهيئة أو الخواص أو الأوصاف، إلا أن هناك فارقا يمليه الحس اللغوي بينهما في أداء هذا المعنى .

(ج) بين صيغ الأفعال :

1- (ماضي –مضارع):

ومن أمثلة قوله تعالى:﴿ **وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾**﴾[البقرة: الآية 87] .

فالآية تتحدث عن اليهود وتحكي الصورة البشعة التي كانت تصنعها في الأنبياء فكان مقتضى الظاهر أن يقال:<<فريقا قتلتم >>، فترك هذا الظاهر لغرض بلاغي: وهو استحضار تلك الصورة الأليمة في النفوس تقبيحا لها وتنفيرا منها، وتوبيخ اليهود الموجودين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وخصهم على التخلي عما يتمسكون به من عقائد[1].

وفي هذه الآية المباركة لون جميل جدا من الالتفات، وهو التعبير عن الحدث الماضي بصيغة المضارع. لقد قال الحق تبارك وتعالى في آخر مقطع الآية (**فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ**) فعبر عن القتل بصيغة المضارع وهو موضع الالتفات المقصود فنسب القتل إليهم مع أن القتلة آباؤهم الأوائل ولكنه سبحانه أسنده للمخاطبين في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وما بعدهم ليحضر ذلك المشهد المروع أمام أعينهم فماهم أولاء ينظرون إلى آبائهم وأيديهم[2].

[1]- عبد الفتاح لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم ، ص187 .

[2]-خديجة أحمد محمد البناني، الالتفات في القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف(أطروحة ماجستير مخطوط)، إشراف: علي محمد العماري، جامعة أم القرى ،السعودية (1413-1414هـ)، ص 442.

ومما جاء في قول الزمخشري: فإن قلت: هلاّ قيل وفريقا قتلتم؟ وقلت: هو على وجهين: أن تراد الحال الماضية، لأن الأمر قطيع فأريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب، وأن يراد: وفريقا تقتلونهم بعد، لأنكم تحومون حول قتل محمد صلى الله عليه وسلم لولا أني أعصمه منكم، ولذلك سحرتموه وسَمَّمتم له الشاه، وقال – صلى الله عليه وسلم– عند موته :" مازالت أكلة خيبر تعادني فهذا أوان قطعت أبهري"[3].

حيث انشغل المفسرون ببيان سر العدول إلى المضارع(**تَقْتُلُون**)، ولكني لم أجد فيما اطلعت عليه من التفت إلى سر إختيار صيغة الماضي في قوله (**كَذَّبْتُم**) والسر فيه فيما أرى– والله اعلم –أن النبوة قد تمت بمحمد صلى الله عليه وسلم، وقد كان تكذيبهم له وقت الخطاب حاصلا، فالتكذيب حصل قبل الخطاب ومن ثم فالمضي في التكذيب على حقيقته ولا رسول بعد محمد صلى الله عليه وسلم يكذبونه فلا معنى للمضارع إذا.

أما فعل القتل فإنه لم يكن قد انتهى منهم بعد، وذلك لشروعهم في قتل محمد صلى الله عليه وسلم على تقدير أن الآية . قد نزلت قبل فعلتهم الخبيثة؛ أم على تقدير نزولها بعد تلك الفعلة فهي تقرير للحال الحاضر، وخير ما يدل على الحقيقة هو المضارع فلا جرم إذا جاء الخطأ بصيغة المضارع التي تدل على أنهم لم ينتهوا بعد من عاداتهم في قتل الأنبياء [1].

والتعبير بالمضارع << **وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ** >> ولم يقل قتلتم كما يقال كذبتم، لأن الفعل المضارع– كما هو مألوف في أساليب البلاغة– يستعمل في الأفعال الماضية التي بلغت من الفظاعة مبلغا عظيما، فكأنه أحضر صورة قتل الانبياء أمام السامع، وجعله ينظر إليها بغيبة، فيكون إنكاره بها أبلغ؛ واستفظاعة لها أعظم[2].

*من خلال ما سبق ذكره نلاحظ أن الالتفات ظاهر في قوله: (ففريقا كذبتم) (وفريقا تقتلون) حيث انتقل من الماضي في (كذبتم) إلى المضارع في (تقتلون)، حيث

[3]- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ،ج1، ص 253،254.
[1] - عبد الحميد أحمد هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، دار صيدا، بيروت،(1429هـ-2008م) ، ص 118 .
[2] - محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت (1402 هـ -1981 م)، ج3، ص 78 .

جاءت(تقتلون) بصيغة المضارع عوضا عن الماضي لاستحضار الحالة الفظيعة وهي حالة قتلتم وعليه فالالتفات الحاصل في الآية جاء مناسبا للمعنى وتأكيد استمرارية الفعل وهذا يتلاءم مع طبيعة المستقبل وهذا دليل على روعة وجمال الاسلوب القرآني .

2-(مضارع -ماضي):

من ذلك ما يتمثل في قوله سبحانه:﴿ **إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ** ۝٢ ﴾[الممتحنة :2].

ففي الآية الكريمة عدول عن صيغة المضارع الواقعة جوابا للشرط (يكونوا) (يبسطوا) إلى صيغة الماضي المعطوفة عليها (وودوا)- يقول الزمخشري في بيانه لنكتة هذا العدول[1].

<< فإن قلت: كيف أورد جواب الشرط مضارعا مثله ثم قال (وودَّوا) بلفظ الماضي؟ قلت: الماضي وإن كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع علم الأعراب ،فإن فيه نكتة، كأنه قيل: وودُّوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم، يعني: أنهم يريدون أن يلحقا بكم مضار الدنيا والدين جميعا: من قتل الأنفس، وتمزيق الأعراض، وردكم كفار أسبق المضار عندهم وأولها؛ لعلمهم أن الدين أعز عليكم من أرواحكم، لأنكم بدّالون لها دونه، والعدو أهم شيء عنده، أن يقصد أعز شيء عند صاحبه>>[2].

وإذا كان الزمخشري قد ركز في تفسيره للمخالفة بين هاتين الصيغتين على عنصر (الزمن) وكونه في صيغة الماضي أسبق منه في صيغة المضارع فإن أبا يعقوب السكاكي قد ركز على طبيعة المعنى أو (الحدث) وكونه مع أولى الصيغتين أمرا مؤكدا محقق الوقوع بخلافه مع الثانية، فهو يسوق الآية الكريمة ثم يقول:<<.. ترك يودوا إلى لفظ[3]

[1]- حسن طب، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص 80.
[2]- الزمخشري،الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ،ج6، ص 90.
[3]- حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص 81.

الماضي؛ إذ لم تكن تحتمل ودادتهم لكفرهم من الشبهة ما كان يحتملها كونهم – إن يثقفوهم – أعداء لهم، وباسطي الأيدي والألسنة إليهم للقتل والشتم >>[3].

*ففي الآية الكريمة عدول عن صيغة المضارع الواقعة جوابا للشرط(يكونوا) و(يبسطوا) إلى صيغة الماضي المعطوفة عليها (وودّوا) لو تكفرون، كأنه قيل وودوا قبل كل شيء كفرتم وارتدادكم، يعني يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدنيا بما فيها قتل الأنفس، وتمزيق الأعراض وردّكم كفار هي أسبق المضار عندهم.

3-(مضارع-أمر):

وذلك في قوله عزوجل :﴿**إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ** ﴿٥٤﴾﴾[سورة هود:54].

ومما جاء في قوله ابن الأثير: فإنه إنما قال :<< **أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ**>> ولم يقل: "وأشهدكم" ليكون موازنا له وبمعناه، لأن إشهاده الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت، وإما إشهادهم فما هو إلا تهاون بهم، ودلالة على قلة المبالاة بأمرهم، ولذلك عدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما، وجيء به على لفظ الأمر؛ كما يقول الرجل لمن يمس الثرى بينه وبينه :<< أَشْهَدُ على أني أحبك>> تهكما به استهانة بحاله.

فالعدول هنا في كلام ابن الاثير قد وظف توظيفا صحيحا لأنه عدول عن الأصل السياقي؛ وذلك لأن السياق يقتضي (وأشهدكم) بصيغة المضارع إلا أنه قد عدل عن هذا الأصل السياقي للنكتة التي بينهما ابن الأثير[1].

والآية الكريمة تحكي مقولة سيدنا هود عليه السلام لقومه ردًا على تكذيبهم له وسخريتهم منه، ودعائهم الباطل بأن به مسًّا من آلهتهم<<**إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖ.**>>. وقد تضمنت هذه المقولة عدولا عن صيغة المضارع (**أُشۡهِدُ ٱللَّهَ**) إلى صيغة الأمر (واشهدوا)؛ وذلك لإبراز البون الشاسع بين الإشهادين، والدلالة على أن

[1]- ابن الأثير، المثل السائر،ج2، ص179،180.

الثاني منهما ليس اشهادا حقيقيا، وأنه عليه السلام إنما أمرهم به على سبيل السخرية بهم، والتحدي لإرادتهم[2].

وهذا ما يقرره الزمخشري في توجيه هذا العدول: فإن قلت: هلا قيل: إني أشهد الله وأشهدكم ؟ قلت: لأن إشهاد الله على البراءة من الشرك إشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده، وأما إشهادهم فما هو إلا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب، فعدل به من لفظ الاول لاختلاف ما بينها، وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة[1].

*نود هنا أن نلاحظ أن القيمة التعبيرية لهذا العدول عن صيغة المضارع(أشهد الله) إلى صيغة الأمر (واشهدوا)، والسر وراء هذا التعبير أنه في الأول (أشهد الله) للدلالة على إشهاد الله عن البراءة من الشرك، فلما كان إشهاد الله واقعا محققا عبر عنه بصيغة المضارع لأنه إشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد، وعبر في جانبهم بصيغة الأمر (واشهدوا) التي تتضمن الاستهانة بدينهم وقلة المبالاة به، فعبر عن خطاب الله عز وجل بصيغة المضارع التي هي أجل وأوقر للمخاطب من صيغة الأمر .

4ـ(ماضي –أمر):

ويمضي ابن الاثير في عرض أمثلة هذا النوع من الالتفات فيقول:" وكذلك يرجع عن الفعل الماضي إلى فعل الأمر إلا أنه ليس كالأول، بل إنما يفعل ذلك توكيدا لما أجرى عليه فعل الأمر لمكان العناية بتحقيقه كقوله تعالى[2]:

﴿ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[الأعراف: 29].

وكان تقدير الكلام :أمر ربي بالقسط وبإقامة وجوهكم عند كل مسجد فعدل عن ذلك إلى فعل الأمر، للعناية بتوكيده في نفوسهم، فإن الصلاة فرائض الله على عباده، ثم أتبعها

[2]- حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص83.
[1]- الزمخشري،الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج3، ص209 .
[2]- عبد الحميد أحمد هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص 157 .
[3]-ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص180.

بالإخلاص الذي هو عمل القلب، إذ عمل عمل الجوارح لا يصح إلا بإخلاص النية، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم:<< **الأعمال بالنيات**>>[3].

وثم ملحظ آخر هداني ربي إليه سبحانه وتعالى بالقسط تنبيها على قدم عهد هذا الأمر فأمره في هذا الشأن كائن منذ الأزل أما في إقامة الصلاة فهي أمر دائم متجدد بحسب تجدد الأيام والدهور، فهو يخص الحاضر والمستقبل على الدوام أكثر منه في الماضي، ولهذا ناسب التعبير بالماضي مع الأول وبالأمر مع الثاني والله أعلم وأحكم[1].

قال ابن كثير أي أمر بالاستقامة في عبادته وهي متابعة المرسلين المؤيدين بالمعجزات وبالإخلاص له في العبادة فإن الله تعالى لا يتقبل العمل حتى يجمع هذين الركنين أن يكون صوابا موافقا للشريعة، وأن يكون خالصا من الشرك [2].

كما وقد ذكر محمد رشيد صاحب كتاب تفسير القرآن الحكيم في بيان تفسيره لهذه الآية في قوله تعالى:<<**قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِ** >>أي العدل والإعتدال في الأمور كلها، وهو الوسط بين الافراط والتفريط... وسيأتي الأمر بأخذ الزينة عند المساجد من هذا السياق وهو قوله :<< **وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ** >>، أي قل لهم أيها الرسول أمر ربي بالقسط فأقسطوا وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد- أو وقل لهم أقيموا الحج-إقامة الشيء إعطاؤه حقه وتوفيته شروطه كإقامة الصلاة والوزن بالقسط[3].

وفيما ذكره حسن طبل أن صيغة الأمر <<**وَأَقِيمُوا**>> هي معطوفة على صيغة الأمر السابقة عليها في صدر الآية<<**قُل** >> ففي الآية الكريمة على هذا التقدير (الذي ينتفي معه القول بالعدول) أمران موجهان منه سبحانه إلى نبيه صلوات الله عليه وسلامه عليه :

---

[1] - خديجة محمد أحمد البناني، الالتفات في القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف ، ص 443 .

[2] - محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير ،ج1، ص 441.

[3] - محمد رشيد رضا تفسير القرآن الحكيم، مطبعة المنار ،مصر ، ط1(1338 هـ ق ،1298 هـ ش)،ج8، ص374،375.

*الأول: أن يعلن لهؤلاء المشركين – دحضا لادعاءاتهم وافتراءاتهم على الله – أنه سبحانه إنما أمر بالقسط .

*الثاني:أن يلتزم هو والمؤمنون معه جادة السلوك الإيماني الأمثل في إقامة الشعائر وإخلاص العقيدة [1].

*ومما جاء من الالتفات في هاته الآية الكريمة في قوله تعالى:<< وأقيموا >> بصيغة الأمر، وذلك بعد قوله تعالى:<< أمر>> بالفعل الماضي إذ أن تقدير الكلام أمر ربي بالقسط وبإقامة وجوهكم عند كل مسجد فعدل عن ذلك إلى فعل الأمر .

وبالتالي فالالتفات الحاصل في الآية جاء مناسبا للمعنى، التعبير عنه بالماضي في (قل)، وذلك أن الماضي يدل على التحقيق، وبالأمر في (أقيموا) وهذا ما يتلاءم مع طبيعة الأمر قصد توكيده في نفوسهم .

د- (الاسم والفعل):

ولنتأمل أخيرا قوله عزوجل ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ۝١٨ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝١٩﴾[ص: 18،19] .

حيث عدل عن مقابلة يسبحن فلم يقل(والطير يحشرن) فعدل إلى اسم المفعول[2].

قال الزمخشري:<< وقوله :(محشورة) في مقابلة (يسبحن) إلا أنه لما لم يكن في الحشر ماكان في التسبيح من إرادة الدلالة على الحدوث شيئا بعد شيء، جيء به إسما لا فعلا .وذلك أنه لو قيل: وسخرنا الطير يحشرن – على أن الحشر يوجد من حاشرها شيئا بعد شيء، والحاشر هو الله عزوجل – لكان خلفا؛ لأن حشرها جملة واحدة أدل على القدرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان إذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح، واجتمعت إليه الطير فسبحت، فذلك حشرها[1].

[1]- حسن طبل أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص 85.
[2] -عبد الحميد أحمد هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، ص 175.
[1] - الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج2، ص250 .

قال ابن كثير: كانت الطير تسبح بتسبيحه وترجع بترجيعه، وإذا مر به الطير وهو سابح في الهواء فسمعه يترنم بقراءة الزبور يقف في الهواء ويسبح معه، وكذلك الجبال الشامخات كانت ترجع معه وتسبح تبعا له [2].

فغايرت الآية الكريمة بين فعل العبد وفعل الرب سبحانه، فالتسبيح يقع من المخلوقات شيئا فشيئا أما الحشر فيقع من الله تعالى جملة واحدة بأمر واحد، إذ يقول للشيء كن فيكون، كما أن ذلك يدل على اجتماع الطير لداوود عليه السلام في وقت واحد وساعة تسبيحه لأنها تحضر في أوان تسبيحه شيئا فشيئا بل تحضر معه جملة واحدة من بداية الشيخ الى منتهاه كما أرى كذلك أن صيغة الاسم تبرز خصوصية النعمة التي أنعم الله بها نبيه داوود عليه السلام؛ إذ من شأن الطير الحركة والتنقل ومن ثم فإن التعبير بصيغة الاسم تفيد أن الطير تسبح مع داوود تفارق طباعها وتثبت في مكانها خاشعة لا تكاد تريم[3].

*ففي سياق هاتين الآيتين تحول عن تأدية وظيفة الحال في الآية الأولى بصيغة المضارع <<يسبحن>> إلى تأديتها في الآية الثانية بصيغة الاسم<<محشورة>> ودلالة هذا التحول أن السر في اختيار <<يسبحن>> في الآية الأولى هو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء، وقوله محشورة، فلو قيل: وسخرنا الطير يحشرن وذلك أن الحشر يوجد من حاشرها شيئا بعد شيء والحاشر هو الله عزوجل لكان خلفا؛ لأن حشرها جملة واحدة أول على القدرة.

ثانيا: العدد:

يحفل القرآن الكريم بالعديد من مواطن الالتفات في مجال العدد (الإفراد – التثنيه– الجمع) ونود فيما يلي أن نتوقف إزاء بعض هذه المواطن في كل صورة من الصور الثلاث التالية:

(أ) بين الإفراد و الجمع.

(ب) بين الإفراد والتثنية.

[2] - محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير ،ج3، ص53.
[3] - عبد الحميد أحمد هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، ص175.

(ج) بين التثنية والجمع.

أ- (بين الإفراد والجمع):

من ذلك مثلا إفراد السمع وجمع الأبصار والقلوب في مثل قوله تعالى:﴿ **خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧** ﴾

[البقـــــرة:07].

لقد جاءت لفظة <<سمعهم>> مفردة بين جمعين <<قلوبهم – أبصارهم>> وهي بذلك تشكل في نسق الآية الكريمة تحولين : أولهما عن الجمع إلى الإفراد، والثاني عن الإفراد إلى الجمع .

لقد لفتت هذه الظاهرة القرآنية أنظار كثير من المفسرين قديما وحديثا،ومن ثم تنوعت المداخل وتعددت الآراء حول تفسيرها، فلقد ذكر الزمخشري عدة آراء في بيان السر في إفراد السمع في الآية الكريمة، فهو يقول[1]:<< وحد السمع كما حد البطن .

في قوله :<< كلوا في بعض بطنكم تعفوا، يفعلون ذلك إذا أمن اللبس، فإذا لم يؤمن، كقولك: << فرسهم، وثوبهم، وأنت تريد الجمع رفضوه، ولك أن تقول: السمع مصدر في أصله، والمصادر لا تجمع، فلمح الأصل يدل على جمع الأذن في قوله:﴿ **وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ** ﴾ [فصلت:05] ، وأن تقدر مضافا محذوفا: أي على حواس سمعهم>>[1].

*ولعل من المناسب أن نلاحظ هنا أن في هذه الآية الكريمة عدول عن الإفراد إلى الجمع، فأوردت لفظة الختم مع السمع وأوردت لفظة الغشاوة مع الأبصار والسر وراء هذا العدول أن الإدراك البصري هو نتيجة إنعكاس صور المرئيات .وهو إدراك (خارجي) أما الإدراك السمعي فهو على العكس من ذلك إدراك(داخلي) وهذا هو السر وراء إيثار الختم مع السمع، والغشاوة مع الأبصار، وهو سر إفراد السمع وجمع الأبصار.

[1]- حسن طبل أسلوب ، الالتفات في البلاغة القرآنية، ص 88.

[1]- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،ج2، ص169 .

ب ــ(الإفراد والتثنية):

ومن مواطن التحول عن التثنية إلى الإفراد قوله عزوجل مخاطبا موسى وهارون عليهما السلام :﴿ **فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴿١٦﴾ ﴾[الشعراء: 10].

حيث وردت لفظة رسول مفردة مع أن ظاهر السياق يقتضي تثنيتها (فقولا إنا): لقد تساءل المفسرون عن سر إفراد تلك اللفظة هنا وتثنيها في سياق آخر للقصة ذاتها، وذلك في قوله سبحانه﴿ **فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ** ﴿٤٧﴾ ﴾[طه : 47]. وقد أجاب بعضهم عن هذا التساؤل بأن لفظة رسول من الألفاظ أو الأوصاف المشتركة؛ فهي تعني المرسل أو متحمل القول حينا، والرسالة أو القول المتحمل حينا آخر،فهي بالمعنى الأول في سورة طه، وبالمعنى الثاني في سورة الشعراء، ومن ثم ثنيت في الأولى لأنهما رسولان، وأفردت في الثانية لأنها رسالة واحدة [2].

ويجوز أن يقال: حيث وحد حمل على الرسالة، لأنهما أرسلا لشيء واحد، وحيث ثنّى حمل على الشخصين[3].

أما آية الشعراء فقد اجتمع فيها أمران: أحدهما الفصل بين مضمر الاسم وظاهره، مع إتيان الظاهرة مضافا إليه فضلة إلى ما ذكر إليه من الفصل ببضع وعشرين كلمة، والثاني أن أمر موسى عليه السلام إنما ورد بإتيانه قوم فرعون وأما قوله تعالى﴿ **فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ** ﴾[طه : 47]. بتثنية لفظ الرسول فوارد على اللغة الشهيرة، أما قوله ﴿**فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴿١٦﴾ ﴾ [الشعراء:10] ، فعلى لغة من يقول رسول للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث، فورد الأول في الترتيب على اللغة

[2]- حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص 95.

[3]- محمود بن حمزة الكرماني، أسرار التكرار في القرآن ، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، ص 176.

الشهيرة، والثاني على اللغة الأخرى على ما تقدم في مثل هذا، وعكس الوارد مخالف للترتيب ولا يناسب [1].

*ففي هاته الآيتين الكريمتين تحول عن التثنية إلى الإفراد، فالآية الأولى في سورة الشعراء قوله(فأتيا فرعون)، وفي الآية الثانية في سورة طه(فأتياه)، وفي الآية الأولى (إنا رسول رب)، وفي الثانية(إنا رسولا ربك)، فنلاحظ أنه ورد لفظ (رسول) بلفظ الإفراد والثانية (إنا رسولا ربك) حيث جاءت بالتثنية.

وما يمكن قوله هو أن لفظة رسول في كل من الآيتين الكريمتين لا تعني سوى للشخص المرسل، إن تثنيتهما في آية طه وإفرادها في آية الشعراء فإنه راجع الى اختلاف السياق في كل من السورتين عنه في الأخرى، وهذا هو السر وراء ذلك، فكل من الآيتين الكريمتين قد تسبق في سياقها خوفا من بطش فرعون وطغيانه وهذا ما ورد في سورة طه على لسان الرسولين – موسى وهارون عليهما السلام ومن ثم جاءت لفظة رسول مثناة لبعث الطمأنينة في قلبيهما .

(ج)–بين التثنية و الجمع:

من المواطن القرآنية التي تحقق فيها التحول عن التثنية إلى الجمع قوله سبحانه :

﴿ هَـٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ۝١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ۝٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ۝٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ۝٢٢ ﴾[الحـــج: 19،22].

حيث أسند فعل الإختصام إلى ضمير الجماعة (اختصموا)لا إلى ضمير التثنية(اختصما) الملائم لظاهر السياق – يقول الزمخشري عند تفسيره لتلك الآية[1] :

[1]- الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، ص 339.
[1] - حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص 99.

<<الخصم: صفة وصف بها الفوج أو الفريق، فكأنه قيل: هذان فوجان أو فريقان مختصمان، وقوله: (هذان): للفظ، و(اختصموا): للمعنى؛ كقوله:﴿ **وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ** ﴾ [محمد :16].

ولو قيل هؤلاء خصمان أو اختصما: جاز، يراد المؤمنون والكافرون [2].

ولعلنا نلاحظ أن الزمخشري بهذه العبارات لم يتجاوز نطاق تبرير الظاهرة أو تسويغها لغويا عن طريق القول بأنها من باب الحمل على المعنى (اختصموا) بعد الحمل على اللفظ (هذان خصمان) أما سر المزاوجة بين الحملين أو علاقتهما بالسياق الذي وردت فيه الآية الكريمة فإن ذلك مالم يدر بخلده التوقف للبحث عنه[3].

قال ابن عباس: رجع إلى أهل الأديان الستة <<في ربهم>> أي: في دينه وصفاته، وروي أن أهل الكتاب قالوا للمؤمنين: نحن أحق بالله، وأقدم منكم كتابا، وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا، فهذه خصومتهم في ربهم [4].

*ولكي نستجلي سر هذا العدول في الآية الكريمة نود – أولا– أن نلاحظ هذه الآية مسوقة لبيان مصير كل من الخصمين – المؤمنين والكفار يوم القيامة، أن فعل الاختصام الذي تمثل فيه العدول عن التثنية إلى الجمع قد جاء بصيغة الماضي اختصموا مما يدل على أن الخصومة قد حدثت قبل زمن الاستشارة إليهما (هذان خصمان)، وعلى ذلك فإن التثنية في (هذان خصمان) للدلالة على أن تلك الفرق سوف يفصل الله بينهما إلى فريقين – مؤمنين وكفار– أما الجمع في (اختصموا) فمنظور فيه إلى الحال التي كانت عليها تلك الفرق في الدنيا وهذا هو السر في إيثار العدول عن التثنية إلى الجمع .

[2] - الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامص التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج4، ص 183.
[3] - حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص 99.
[4] - الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج4، ص183.

ثالثا الضمائر :

<<... ففي تقديري أن الالتفات في مجال الضمائر يتحقق في صور المخالفة التعبيرية التالية: [1].

(أ) بين الغيبة والخطاب .

(ب) بين الغيبة والتكلم .

(ج) بين التكلم والخطاب

(د) بين الإضمار والإظهار.

(ه) بين تذكير الضمير وتأنيثه.

(أ)- (بين الغيبة والخطاب):

ومنه قوله تعالى :﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾[الفاتحة: 2-3-4-5].

جرى الأسلوب على طريقة الغيبة كما ترى، ثم انتقل إلى الخطاب في قوله:

<< **إِيَّاكَ نَعۡبُدُ** >> وقالوا في سر ذلك: إن المعاني السابقة من حمد الله والثناء عليه وذكر ربوبيته للعالمين ورحمته الغامرة وملكه ليوم الدين تحث النفوس على الإقبال صوب الحق متجهة إليه بالخطاب معلنا وحدانيته بالعبادة والإستعانة [1].

أما الزمخشري فيقول:<< أنه لما ذكر الحقيق بالحمد، وأجرى عليه تلك الصفات العظام، تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء، وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات، فَخُوطِبَ ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات، فقيل:إياك ، يا من هذه صفاته نخصك بالعبادة والاستعانة، لا نعبد غيرك ولا نستعينه، ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة له [2].

[1]- حسن طبل ، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص103 .

[1] - محمد أبو موسى، خصائص التراكيب ، مكتبة وهبة، القاهرة ، ط4(1416هـ -1999م) ، ص 257،258.

[2] - الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج1 ، ص120.

هذا رجوع من الغيبة إلى الخطاب، ومما يختص به هذا الكلام من الفوائد قوله: <<إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ >> بعد قوله <<ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ >> فإنه إنما عدل فيه من الغيبة إلى الخطاب، لأن الحمد دون العبادة ألا تراك تحمد نظيرك ولا تعبده؟ فلما كانت الحال كذلك استعمل لفظ <<الحمد>> لتوسطه مع الغيبة في الخبر،فقال: << ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ >> ولم يقل الحمد لك، ولما صار إلى العبادة التي هي أقصى الطاعات قال:<< إِيَّاكَ نَعْبُدُ >> فخاطب بالعبادة إصراحا بها، وتقربا منه عز اسمه بالانتهاء إلى محدود منها [3].

*في هذه الآية انتقال من طريق الغيبة إلى طريق الخطاب، لتعظيم شأن المخاطب ،لأن مخاطبة الله عزوجل بإسناد النعمة إليه تعظيما لخطابه؛ فقيل"إياك نعبد" أي نخصك بالعبادة والاستعانة ولا نعبد غيرك، فجاء الخطاب أدل على أن العبادة له .

ومن مواطن هذا العدول أيضا قوله سبحانه:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

[يونس :22]

لقد التفت كثير من البلاغيين والمفسرين إلى هذا العدول، وتعددت آراؤهم في بيان سره، ولعل من أبرز هذه الآراء ما يلي[1]:

قال:<< كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ >> فجاءت على طريق الخطاب ثم قال :<<وَجَرَيْنَ بِهِم>> فنقل الأسلوب إلى الغيبة والمخاطبون هم الذين إذا نجاهم الله من هول البحر والموج يبغون في الأرض بغير الحق، وكأن نقل الحديث إلى الغيبة فيه معنى التشهير بهم وكأنه يروي

[3] - ابن الأثير، المثل السائر ، ج2، ص 170.

[1]- ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص 170.

قصتهم لغيرهم لأن هذه الطبائع العجيبة جديرة بان تذاع وتروى، ثم فيه لطيفة أخرى هي أنهم كانوا في مقام الخطاب كائنين في الفلك :<< كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ >> فهم في مقام الشهود والوجود، ثم لما جرت بهم الريح ذهبوا بعيدا عن مقام الخطاب فلاءم هذا الحال طريق الغيبة [2].

وجاء في قول الزركشي في تفسيره للآية: << لأن الخطاب أولا كان مع الناس مؤمنهم وكافرهم؛ بدليل قوله:<< هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ >>، فلو قال: <<وجرين بكم>> لزم الذم للجميع، فالتفت عن الأول للإشارة إلى الاختصاص بهؤلاء الذين شأنهم ما ذكره عنهم في آخر الآية، فعدل عن الخطاب العام إلى الذم الخاص ببعضهم وهم الموصفون بما أخبر به عنهم.

وقيل لأنهم وقت الركوب حضروا، لأنهم خافوا الهلاك وتقلب الرياح، فناداهم نداء الحاضرين ثم إن الرياح لما جرت بما تشتهي النفوس، وأمنت الهلاك لم يبق حضورهم كما كان على ما هي عادة الإنسان؛ أنه إذا أمن غاب، فلما غابوا عند جريه بريح طيبة فكرهم الله بصيغة الغيبة؛ فقال:<<وَجَرَيۡنَ بِهِم >>[1].

أما ابن الأثير فيفسر الآية تفسيرا آخر فيقول :<< إنما صرف الكلام هاهنا من الخطاب إلى الغيبة لفائدة، وهي أنه ذكر لغيرهم حالهم، ليعجبهم منها كالمخبر لهم، ويستدعي منهم الإنكار عليهم، ولو قال: حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بكم بريح طيبة وفرحتم بها، وساق الخطاب معهم إلى آخر الآية لذهبت تلك الفائدة التي أنتجها خطاب الغيبة [2].

*في هذه الآية الكريمة نقل للحديث من أسلوب الخطاب "كنتم في الفلك" إلى الغيبة << وجرين بهم>> والحكمة من هذا الانتقال هو إشعارهم بالتأنيب على ما يكون منهم.

[2] -محمد أبو موسى ، خصائص التراكيب، ص 254،255.
[1]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ج3، ص318.
[2]- ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص 178.

(ب) –(بين الغيبة والتكلم) :

منه قوله تعالى :﴿**ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ** ﴾ [فصلت:12،11].

جاء الكلام على طريق الغيبة في قصة خلق السماوات والأرض وهي أخبار تروى من الغيب البعيد بيننا وبينها ملايين السنين هي عمر هذه الأرض، ثم انتقل إلى طريق التكلم في قوله **<< وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا >>**، وكان الالتفات هنا ذا مغزى مهم لأن السماء الدنيا وما فيها من كواكب من أظهر وأوضح الآيات التي تشير إلى القدرة الخالقة والتي يحث القرآن على النظر إليها كثيرا [1].

وفيما ذكره الزركشي في بيان سر هذا العدول قوله:<< عدل عن الغيبة في <<قضاهن وسواهن>> الى التكلم في قوله:**<< وَزَيَّنَّا >>**، فقيل للاهتمام بذلك، والإخبار عن نفسه، بأنه جعل الكواكب زينة السماء الدنيا، وحفظا؛ تكذيبا لمن أنكر ذلك [2].

ويقول ابن الأثير في تفسيره للآية الكريمة :<< فإنه قال :**<< وَزَيَّنَّا >>** بعد قوله: **<<ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ >>** وقوله**<< فَقَضَىٰهُنَّ >>**و **<<وَأَوْحَىٰ>>**والفائدة في ذلك أن طائفة من الناس غير المتشرِّعين يعتقدون ان النجوم ليست في السماء الدنيا، وأنها ليست حفظا ولا رجُومًا، فلما صار الكلام إلى هاهنا عدل به عن خطاب الغائب إلى خطاب النفس،لأنه مهم من مهمات الإعتقاد، وفيه تكذيب للفرقة المكذبة المعتقدة بطلانه[3] .

وقد أضاف حسن طبل فائدة أخرى لهذا العدول في قوله:<< ففي إسناد الفعل (وزينا) إلى ضمير الغيبة الذي أسندت إليه الأفعال السابقة عليه (استوى، قال، فقضى،

[1]- محمد أبو موسى، خصائص التركيب، ص256.
[2]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ج3، ص 321.
[3] -ابن الأثير، المثل السائر ، ج2 ، ص 173.

أوحى ...) ومن ثم فإن العدول في إسناد هذا الفعل عن الغيبة إلى التكلم حفزا للهمم ولفتا للأنظار إلى تأمل آثاره، والتفطن لعجائب صنع الله فيها؛ إذ أن هذا التأمل هو طريق الاقتناع المطمئن والتسليم بنسبة الأفعال المذكورة كلها – لا فعل الزينة وحده– إلى الخالق عزوجل قياسا للغائب منها على الحاضر، والخفي المستور على المحسوس المشاهد>>[4].

*في هذه الآية الكريمة عدول من الغيبة << قضاهن>> و<<سواهن>> إلى التكلم في قوله: <<زينا> والسر وراء هذا العدول هو الإخبار عن نفسه، بأنه جعل الكوكب زينة السماء الدنيا كما في هذه الآية لفتا للأنظار وإلى التأمل والنظر في قدرته الخالقة ، والتفطن لعجائب صنع الله فيها .

ومن مواطن هذا العدول أيضا قوله سبحانه وتعالى:﴿**قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ**﴾ [الأعراف :158].

جرى الأسلوب كما ترى على طريق التكلم :<< **إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ** >> ، ثم انتقل إلى طريقة الغيبة<< **فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ** >> وكان مقتضى ظاهر الأسلوب أن يقول : فآمنوا بالله وبرسوله والالتفات إلى الاسم الظاهر هيأ إلى الأوصاف المذكورة بعده <<النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته >> وهي أوصاف مهمة في السياق لأنها تحث على الإيمان به[1].

وقد ذكر الزركشي سرا وراء هذا العدول في قوله :<< وقوله:<< **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ**>> وقوله :<< **فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ سُولِهِ** >> ، ولم يقل بي وله فائدتان: إحداهما دفعا لتهمة عن نفسه بالعصبية لها ، والثاني تنبيههم على استحقاقه الإتباع بما اتصف به من

[4]- حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص 112.
[1]- محمد أبو موسى، خصائص التراكيب ، ص252،253 .
[2] - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3 ، ص317.

الصفات المذكورة، من النبوة والأمية، التي هي أكبر دليل على صدقه ،وأنه لايستحق الإتباع لذاته بل لهذه الخصائص.[2]

*في هذه الآية الكريمة خروج عن مقتضى الظاهر الأسلوب ، حيث انتقل من طريق التكلم إلى الغيبة ، والسر وراء هذا العدول هو دعوة الى تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال صفاته لا لذاته ، هذه الصفات هي أكبر دليل على صدقه كما تتضمن نوعا من البرهان على رسالته التي جاء بها .

(ج)-بين التكلم والخطاب :

ومن أمثلة قوله تعالى﴿ **ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾** ﴾[يس: 20-22].

قال تعالى :<< **وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي**>>، فجاء بكلامه على طريقة التكلم ،ثم قال : ﴿ **وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ** ﴾ ، وكان السياق أن يقول :<<وإليه أرجع >>،ولكنه جاء على طريقة الالتفات ، وفيه شدة تحذير لهم وتنبيه إلى أنهم سائرون إلى الله وراجعون إليه ولا يتأتّى هذا لوقال : وإليه أرجع ، الالتفات في مواجهتهم بصيرورتهم إلى من يكفرون به وكأنه يقول لهم : كيف لا تتقون من يؤول أمركم إليه وتسألون بين يديه[1]؟

أما الزركشي فيفسر الآية الكريمة في قوله :<< الأصل:<<وإليه أرجع>> فالتفت من التكلم إلى الخطاب، وفائدته أنه أخرج الكلام من معرض مناصحتة لنفسه، وهو يريد نصح قومه، تلطفا وإعلاما أنه يريد لهم ما يريده لنفسه، ثم التفت إليهم لكونه في مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله وأيضا فإن قومه لما أنكروا عليه عبادته لله ، أخرج الكلام معهم بحسب حالهم ، فاحتج عليهم بأنه يقبح منه أنه لا يعبد فاطره ومبدعه ؛ثم حذرهم بقوله:<< **وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي**>>[2].

---

[1] - محمد أبو موسى، خصائص التراكيب ، ص151.

[2] – الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ج3 ،ص 315.

*في هذه الآية تحول أسلوب التكلم إلى الخطاب ، فقد عبر عن الذات أولا بطريق التكلم في قوله:<< **وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي** >>، ثم التفت فعبر عنها بطريق الخطاب في قوله :<<**وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ** >> وكان السياق يقتضي أن يقال :<< وإليه أرجع>> ، والسر وراء هذا العدول هو نصح قومه فهو يروي لهم ما يروي لنفسه ثم انتقل الى مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله.

(د) بين الإضمار و الإظهار:

في ثنايا حديث البلاغيين عما أسموه" مخالفة مقتضى الظاهر" ورد ذكر التبادل بين الإضمار والإظهار بوصفه لونا من ألوان تلك المخالفة، وبتأمل الشواهد والأمثلة التي ساقها البلاغيون للمخالفة في هذا اللون يتبين لنا أنها تتمثل عندهم في ثلاث صورهي:[1]

1/ وضع الضمير موضع الاسم الظاهر .

2/ إظهار ماسبق إظهاره.

3/ إظهار المضمر.

1/ وضع الضمير موضع الاسم الظاهر:

ومن مواقعه الجليلة قوله تعالى : ﴿ **قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ** ۝١﴾ [الإخلاص:01] .

فقوله ضمير الشأن ومفسره الجملة بعده وواضح أن مضمونها كبير هو محور الصراع في تاريخ البشرية ولو قال سبحانه :<< الله أحد>> لما وجدت للكلام هذا الأثر ، وهذه القوة التي تحسها النفس من هذه التهيئة المؤذنة بأن ما سيأتي بعدها كلام له فضل عظيم [2].

*فالضمير "هو " أداة للتنبيه يدفع السامع إلى الإصغاء إلى ما يأتي بعد، فإذا وردت الجملة بعده ثبتت في النفس .

[1] -حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص119.

[2]- محمد أبو موسى، خصائص التراكيب ، ص 242.

2/ **إظهار ما سبق إظهاره :**

وذلك في قوله تبارك وتعالى :﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلاً غَيۡرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[البقرة:59].

وقوله سبحانه : ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَ ... ﴾ [الإسراء : 105].

وقوله:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المجادلة :22].

فلقد كان مقتضى الظاهر أن يقال في الآية الأولى: << فأنزلنا عليهم>>، وفي الثانية: <<وبه نزل>>، وفي الثالثة :<< ألا أنهم هم المفلحون>> [1].

وفي الآية الأولى كان مقتضى أن يقال:<< فأنزلنا عليهم رجزا>>، فيعبر بالضمير لتقدم المرجع، لكنه عدل عن ذلك إلى الاسم الظاهر، لم في ذلك من إبرازهم في صورة المبدلين المغيرين لكلام الله، وفي ذلك تشنيع عليهم وتصوير لمدى ضلالهم واستحقاقهم لعذاب الله [2].

*في هذه الآية خروج عن مقتضى الظاهر، حيث عبر بالضمير ثم عدل عن ذلك إلى الاسم الظاهر والسر وراء هذا العدول هو التصوير لمدى ظلالهم واستحقاقهم لعذاب الله .

3/ **إظهار المضمر:**

وذلك مثل قوله عز وجل :﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾[التوبة:12].

وقوله:﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ ﴾

[ص:4].

[1]- حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص 119.
[2]- عبد الفتاح لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم ، ص 183.

ففي صدر كل من الآيتين ورد التعبير بالضمير (نكثوا- وعجبوا) ومن ثم كان مقتضى الظاهر أن يكرر فيقال في الأولى :فقاتلوهم وفي الثانية: وقالوا[1].

*في هذه الآيتين تعبير بالضمير (نكثوا – وعجبوا) حيث كان مقتضى الظاهر أن يكرر فيقال : فقاتلوهم وقالوا لكن خولف فيهما مقتضى الظاهر، وذلك لغرض بلاغي .

هـ/بين تذكير الضمير وتأنيثه

فمن ذلك قوله تعالى:﴿ **فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴿٤٩﴾ ﴾[الزمر:49]

ويفسر الزمخشري هذا التحول من تذكير الضمير إلى تأنيثه في قوله << فإن قلت: لم ذكر الضمير في **<< أُوتِيتُهُۥ>>** وهو للنعمة ؟ قلت : ذهابا به إلى المعنى : لأن قوله :**<<نِعْمَةً >>** شيئا من النعم وقسما منها ويحتمل أن تكون (ما) في إنما موصولة لا كافة، فيرجع إليها الضمير على معنى: إن الذي أوتيته على علم **<<بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ >>**. إنكار لقوله كأنه قال: ما خولناك من النعمة لما تقول: بل هي فتنة، أي ابتلاء وامتحان لك، أتشكر أم تكفر؟ فإن قلت كيف ذكر الضمير ثم أنثه؟ قلت: حملا على المعنى أولا وعلى اللفظ آخرا؛ ولأن الخبر لما كان مؤنثا أعني (فتنة): ساغ تأنيث المبتدأ لأجله؛ لأنه في معناه، كقولهم: ما جاءت حاجتك وقرئ :" بل هو فتنة "على وفق"**إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ** ".[2]

ويضيف حسن طبل ملحظا آخر، وهو أن ضمير التذكير قد ورد محكيا على لسان الإنسان، أما ضمير التأنيث فقد ورد في إخباره سبحانه عن حقيقة المراد بالنعمة **<<بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ >>** ولعلنا في ضوء ذلك نستطيع القول – والله اعلم- إن تذكير الضمير النعمة أولا إشعار بمدى جحود الإنسان لها وغفلته عن تذكير المنعم بها ،.. أما

[1]- حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص120.

[2] - الزمخشري الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،ج5، ص311 .

العدول إلى تأنيث ضمير النعمة بعد ذلك **<<بَلۡ هِيَ فِتۡنَةٞ >>** ففيه لفت لذلك الإنسان إلى الحقيقة التي غفل عنها، وهي أن هذا (الشيء) الذي ظفر به اغتراره بذاته ماهو إلا (نعمة) من الخالق عزوجل وهبه إياها تفضلا[1].

*نلاحظ في هذه الآية عدول من تذكير الضمير إلى تأنيثه والسر وراء هذا العدول هو أن تذكير الضمير هو حمل على معنى النعمة، أما تأنيثه بعد ذلك فهو حمل على لفظ النعمة .

ومن مواطن العدول عن تأنيث الضمير إلى تذكير قوله سبحانه :﴿ **مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢** ﴾[فاطر:02].

وقد فسر الزمخشري هذا العدول في قوله:<< فإن قلت: لم أُنِّث الضمير أولا، ثم ذكر آخرا؟ وهو راجع في الحالين إلى الاسم المتضمن معنى الشرط؟ قلت : هما لغتان: الحمل على المعنى و على اللفظ ، والمتكلم على الخيرة فيهما، فأُنِّث على معنى الرحمة وذكر على أن لفظ المرجوع إليه لا تأنيث فيه، ولأن الأول فُسِّر بالرحمة، فَحَسُن إتباع ضمير التفسير، ولم يفسر الثاني فترك على أصل التذكير وقرئ فلا مرسل لها فإن قلت: لابد للثاني من تفسير، فما تفسيره؟ قلت: يحتمل أن يكون تفسيره مثل تفسير الأول ولكنه ترك لدلالته عليه، وأن يكون مطلقا في كل ما يمسكه من غضبه ورحمته، وإنما فسروا الأول دون الثاني للدلالة على أن رحمته سبقت غضبه >>[2].

*من خلال ما سبق ذكره نلاحظ أن في هذه الآية تحولا عن ضمير التأنيث (فلا ممسك لها) إلى ضمير التذكير(فلا مرسل له) والغرض البلاغي لهذا العدول مرده إلى حمل ضمير التأنيث على معنى الرحمة، وحمل ضمير التذكير على لفظ الرحمة .

[1] - حسن طبل ،أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص128.
[2] -الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج 5، ص 138.

رابعا الأدوات :

يتحقق الالتفات في مجال الأدوات بإحدى الصورتين :

أ/ **المخالفة بين الأدوات المتماثلة:** أي التحول في التعبير أو السياق الواحد من أداة إلى أداة أخرى تماثلها في أداء وظيفتها (العامة) وتفترق عنها في خصوصية هذا الأداء [1].

فمن ذلك قوله تعالى :﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾[التوبـــــة :60].

يقول الزمخشري في بيان سر هذا العدول في الآية:<< فإن قلت: لم عدل عن (اللام)إلى (في) في الأربعة الأخيرة ؟ قلت: للإيذان بأنهم أرسخوا في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره؛ لأن "في" للوعاء، فنبه على أنهم أحقاد بأن توضع فيهم الصدقات، ويجعلوا مظنةً لها ومصبًا، وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة أو الرق أو الأسر ، وفي فك الغارمين من الغرم من التخليص و الإنقاذ، ولجمع الغازي الفقير أوالمنقطع في الحج بين الفقر والعبادة ؛ وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الأهل والمال، وتكرير "في " في قوله:<< **وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ** >> : فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين[2] .

ففي الآية الكريمة عدول عن حرف الجر (اللام) الوارد في صدرها مع الفقراء إلى (في)مع الرقاب وسبيل الله ، والحرفان يشتركان في تأدية معنى وظيفي عام هو التعليق، غير أن كل منهما ينفرد في تأدية هذا المعنى بخصوصية لا يشركه فيها الآخر إذ أن أولهما يفيد التعليق على معنى الملكية، أما الثاني فيفيد معنى الظرفية، ولهذه الخصوصية كان إيثار كل منهما في موضعه في سياق الآية الكريمة [1].

[1] -حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص 131 .
[2] -الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج3 ، ص 60،61.
[1] -حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص 131.

*جاءت المخالفة بين أداتي الجر (اللام – في) في الآية التي نحن بصددها حيث انتقل في التعبير من حرف الجر (اللا م) إلى حرف الجر(في)، ويكمن السر وراء هذه المخالفة أن كلا مهما يشتركان في أداء وظيفتهما العامة ، غير أن كلا منهما ينفرد في خصوصية هذا الأداء، حيث تفيد (اللام) معنى الملكية، أما الثانية (في) فتفيد معنى الظرفية .

ب/ حذف الأداة وذكرها :

أي التحول في– في السياق الواحد – عن ذكر الأداة الى حذفها اوالعكس لقيمة تعبيرية تقتضي هذا أو ذاك ومما جاء في قوله تعالى :﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

[الواقعة : 63–70]

فلقد حذفت لام التوكيد من جواب << لو>> مع آية الماء بعد ذكره في آية الحرث والإنبات وقد ذكر المفسرون في بيان السر في هذه المخالفة ووجوها من أبرزها :

1/ أن صيرورة الماء ملحا أسهل وأكثر من جعل الحرث حطاما؛ إذ الماء العذب يمر بالأرض السبخة فيصير ملحا فالتوعد به لا يحتاج إلى توكيد.

2/ أن جعل الحرث حطاما قلب للمادة والصورة، وجعل الماء أجاجا قلب للكيفية فقط وهو أسهل وأيسر.[1]

3/ أن "لو" لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتها بالأولى تعليق الجزاء بالشرط أتى باللام علما على ذلك، ثم حذف الثاني للعلم بها، لأن الشيء إذا علم وشهر موقعه، وصار مألوفا ومأنوسا به لم يبال بإسقاطه عن اللفظ استغناء بمعرفة السامع ويساوي لشهرته

[1] -حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص137.

حذفه وإثباته، مع ما في حذفه من خفة اللفظ ورشاقته؛ لأن تقدم ذكرها – والمسافة قصيرة– يغنى عن ذكرها ثانيا.

4/ أن اللام أدخلت في آية المطعوم، للدلالة على أنه يَقدِم على أمر المشروب وأن الوعيد بفقده أشد وأصعب من قبل أن المشروب إنما يحتاج إليه تبعا للمطعوم؛ ولهذا قُدمَت آية المطعوم على آية المشروب .[2]

*في هذه الآية عدول وذلك في قوله (لجعلناه – جعلناه) فقد حذفت اللام في آية الماء بعد ذكرها في آية الحرث والسر وراء هذا العدول أن سيرورة الماء ملحا أسهل من جعل الحرث حطاما فالماء العذب يصير مالحا إذا مر بسبخة والتوعد به لا يحتاج إلى توكيد .

ومن مواضع ذكر الأداة بعد حذفها في القرآن الكريم قول الحق سبحانه :﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾ وقوله بعد ذلك بآية ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾[الزمر 71–73] .

حيث جاء فعل فتح الأبواب مجردا من الواو في الآية الأولى مقترنا في الآية الثانية، فهذا الفعل في الآية الأولى هو جواب للشرط << إِذَا جَآءُوهَا >> أما في الآية الثانية فقد اختلف المفسرون والنحاة حوله تبعا لإختلافهم في بيان نوع الواو التي اقترن بها [1].

وللنحويين في هذه الآية ثلاثة أقوال:

– أحدهما : أن الواو زائدة والجواب قوله **<<فُتِحَت >>** وهؤلاء قسمان منهم من جعل هذه الواو مع أنها زائدة واو الثمانية ومنهم من لم يثبتها .

[2] -الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ج3، ص 89.
[1] - حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص 139.

– والثاني:أن الجواب محذوف عطف عليه قوله :<< **فُتِحَت** >> كأنه قال :<< حتى اذا جاءوها [جاءوها] << و**فتحت** >> قال: الزجاج وغيره وفي هذا حذف المعطوف وإبقاء المعطوف عليه .

– الثالث :أن الجواب محذوف في آخر الكلام؛ كأنه قال بعد الفراغ استقروا أو خلَّدوا أو استووا؛ مما يقتضيه المقام؛ وليس فيه حذف معطوف .

ويحتمل أن يكون التقدير إذا جاءوها أذن لهم في دخولها وفتحت أبوابها، المجيء ليس سببا مباشرا للفتح بل الإذن في لدخول هؤلاء الإذن في ذلك [2].

ومما ذكره الغرناطي في تفسيره للآية الكريمة أن "إذا" في مثل هذا الكلام جارية مجرى أدوات الشرط في إحتياج الفعل بعدها إلى الجواب، إلا أن جوابها في قول البصريين لا ينعدم إلا في الشعر، وأهل الكوفة يرون أنها تجزم في الكلام وقد اتفق في إستدعائها الجواب، فوقع جوابها في الآية الأولى منطوقا وهو قوله "فتحت أبوابها" فلا مدخل.

وأما الآية الثانية فجوابها محذوف مقدر وقوله << **فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا**>> كلام معطوف على ما قبله كما عطف عليه ما بعده، ولو كان جوابا لكان مقتضاه أنها لا تفتح إلا عند مجيئهم كالحال في أهل النار[1].

*ومما هو جدير بالملاحظة في هذه الآية ورود فعل فتح الأبواب مجردا من الواو وفي الواو في الآية الأولى، أما الآية الثانية فقد وردت مقترنة بالواو، فالفعل في الآية الأولى هو جواب الشرط (إذا جاؤوها) أما الآية الثانية فليس جوابا للشرط =، والسر وراء ذكر (الواو) في الآية الثانية دون الأولى هو إبراز الفرق بين فتح أبواب النار وفتح أبواب الجنة .

[2]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ج3 ، ص 190.

[1] - الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، ج2 ، ص 428،429.

خامسا: البناء النحوي:

نعني بالالتفات في البناء النحوي التحول أو الانكسار في نسق المكونات النحوية للتعبير ... ومن ذلك مثلا بناء الفعل للمفعول بعد بنائه للفاعل أو العكس، أو إيراده تارة لازما وأخرى متعديا، أو التحول في بناء الجملة عن نمط الفعلية إلى نمط الاسمية أو العكس.

(أ) بناء الفعل للمفعول بعد بنائه للفاعل أو العكس:

فمن تلك المواطن قول الحق تبارك وتعالى :﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾[الأعراف :44].

فلقد عدلت الآية الكريمة عن ذكر مفعول في "وعدنا " إلى حذفه في "وعد ربكم" ، إذ لو جرى السياق على نمط واحد يقبل فهل وجدتم ما وعد ربكم [2].

وللمفسرين مجموعة من الأقوال في بيان تفسير هذا العدول : قالوا:(وعدنا ربنا) ولم يقولوا لأهل النار (وعدكم ربكم) بل حذفوا المفعول لأنه قد عرف حينئذ أن أهل الجنة محل لذلك الوعد بالجنة، وأن أهل النار ليسوا محلا له، فسألوهم عن الوعد المطلق كما وجه إلى الناس كافة في الدنيا على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام معلقاً على الإيمان والتقوى والعمل الصالح [1].

وفيما ذكره الزمخشري فإن قلت:هلا قيل: **<<مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ >>**،كما قيل :**<<مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا >>** قال أحمد : وللقائل أن يقول: ولو ذكر المفعول حسب ذكره في الأول فقيل: فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا لكان الفصل مطلقا أيضا باعتبار الموعود به ، لأنه لم يذكر، فكان يتناول كل موجود من البعث والحساب والعقاب، الذي هو أنواع من جملتها

[2] - حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص 146.
[1] -محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم ،ج8 ، ص 425،.424

التحسر على نعيم اهل الجنة، فليس ذلك خاصا بحذف المفعول الواقع على الموعودين فالوجه أن حذفه إيجاز وتخفيف و استغناء عنه بالأول [2].

ويرى حسن طبل أن في هذا العدول إشعارا بالبون الشاسع بين تلقي المؤمنين وتلقي الكفار– في الدنيا – لوعد الله؛ ففي ذكر مفعول الوعد الأول إيحاء بأن المؤمنين قد تلقوا هذا الوعد بقلوب حاضرة وعقول واعية بادروا إلى تصديقه وأحسنوا العمل من أجله، وبالتالي فإن حذف مفعول الوعد الثاني إيماء إلى أن هؤلاء الكفار قد أصموا آذانهم عن سماعه وغيَّبوا عقولهم عن إدراكه فكأن هذا الوعد كان في واد وهم بضلالهم عنهم في واد آخر[3] .

*في هذه الآية الكريمة عدول عن ذكر مفعول الوعد في (وعدناه) إلى حذفه في (وعد ربكم) حيث كان مقتضى السياق أن يقال: فهل وجدتم ما وعدكم ربكم، والسر وراء هذا العدول راجع الى المخالفة بين وعد أصحاب الجنة ووعد أصحاب النار، حيث أن الوعد الثاني هو وعد عام ومطلق وهو السر في حذف مفعوله، أما الوعد الأول فهو وعد خاص بالمؤمنين ومن ثم ذكر مفعوله العائد عليهم .

ب/ النسق الإعرابي :

ومن مواطن العدول في النسق الإعرابي كذلك قوله سبحانه :

﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾[النساء : 162].

لقد تعددت آراء النحاة في إعراب لفظة المقيمين في الآية الكريمة وأبرز هذه الآراء (وأرجحها كذلك) هو ما ذهب إليه سيبويه وتابعه فيه جمهور المفسرين من انها منصوبة على القطع، والتقدير وأعني المقيمين وجلي أن تلك اللفظة – على هذا الرأي –

[2] - الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج 2 ص445.
[3] - حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ،ص 147.

تعد نقطة تحول أو عدول في مسار النسق الإعرابي للآية؛ إذ أن ظاهر السياق يقتضي رفعها عطفا على صفة الإيمان التي وردت قبلها **<< ٱلْمُؤْمِنُون>>** أما سر هذا التحول الإعرابي فهو كما ذكر هؤلاء المفسرون اللفت إلى أهمية الصلاة والتنبيه على فضلها[1] .

*لعلنا نلاحظ من خلال هذه الآية الكريمة تحولا في النسق الإعرابي ، إذ تعددت الآراء في إعراب لفظة (المقيمين)، وكان مقتضى ظاهر السياق رفعها عطفا على صفة الإيمان التي وردت قبلها (المؤمنون) والسر وراء هذا العدول هو بيان أهمية الصلاة والتنبيه على فضلها .

ج ــ تحول نمط الجملة الاسمية إلى الفعلية أو العكس:

ومن المواطن التي يتمثل فيها هذا العدول أيضا قوله عز وجل في سياق قصة ابراهيم عليه السلام ﴿**وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾** ﴾ [هود : 69]، وقوله في ذات القصة في موطن آخر﴿ **إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾** ﴾ [الذاريات: 25]

فالعدول إلى رفع **<<سَلَٰمٌ >>** في مقولة ابراهيم عليه السلام دون نصبها كما وردت في مقولة الرسل – هو عدول عن فعلية الجملة إلى اسميتها ، إذ إنها في حال النصب مصدر منصوب بالفعل المحذوف – على الأرجح– والتقدير: نسلِّم سلاما أما في حال الرفع فهي إما خبر لمبتدأ محذوف، أو مبتدأ حذف خبره، والتقدير : أمري سلام أو سلام عليكم [1].

[1] – حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص153، 154.
[1] - حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص 156.

يقول الزمخشري في تفسيره للآية << **سَلَـٰمًا**>> مصدر سَادَّ مَسَدَّ الفعل مستغنى به عنه وأصله :" نسلم عليكم سلاما " وأما <<**سَلَـٰمٌ**>> فمعدول به إلى الرفع على الابتداء وخبره محذوف، معناه عليكم سلام، للدلالة على ثبات السلام، كأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به أخذا بأدب الله تعالى وهذا أيضا من إكرامه لهم [2].

يقول الزركشي في تفسيره للآية الكريمة:<< **قَالُواْ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ** >> فإن نصب <<**سَلَـٰمًا**>> إنما يكون على إرادة الفعل، أي سلمنا سلاما وهذه العبارة مؤذنة بحدوث التسليم منهم، إذ الفعل تأخر عن وجود الفاعل، بخلاف سلام ابراهيم فإنه مرتفع بالابتداء فاقتضى الثبوت على الإطلاق وهو أولى بما يعرض له الثبوت، فكأنه قصد أن يحيّيهم بأحسن مما حيّوه به، إقتداءا بقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ**﴾[النساء: 86] .[1]

ومن الجدير بالذكر أن هناك من البلاغيين من يرى أن هذا العدول قد يكون راجعا إلى المغايرة بين الملائكة والبشر إذ ان السلام هو دعاء بالكمال والسلامة من كل نقص، وكمال البشر تدريجي فناسب هذا أن يحيّ ابراهيم عليه السلام بما يدل على التجدد، أما كمال الملائكة فلا يتصور فيه التجدد؛ لأنه مقارن لوجودهم على الدوام وقد ناسب هذا أن يُحيّوا على لسان ابراهيم عليه السلام بما يدل على الاستمرار والثبوت [2].

*في هذه الآية الكريمة عدول عن فعلية الجملة إلى اسميتها ويتمثل هذا العدول في رفع "سلام" في مقولة ابراهيم عليه السلام دون نصبها كما وردت في مقولة الرسل ، فالأولى(سلامٌ) إما خبر لمبتدأ محذوف، أو مبتدأ حذف خبره، أما الثانية (سلامًا)

[2] - الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل، ج5، ص، 615.
[1] -الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ج4، ص 71.
[2]- حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص 156.

فهي مصدر منصوب لفعل محذوف ، والسر وراء هذا العدول هو إشعار بأنه عليه السلام قد حيا ضيفه بأحسن مما حيوه به .

سادسا : المعجم :

يتمثل الالتفات في هذا المجال بين الألفاظ التي تتداخل دوائرها الدلالية، بحيث تتلاقى في مساحة أو قدر مشترك من المعنى، ثم ينفرد كل منهما ببعض الخصوصيات التعبيرية أو الطاقات الإيحائية التي لا يشاركه فيها سواه .

ونود فيما يلي أن نتأمل بعض المواطن القرآنية التي تتمثل فيها صورة العدول في هذا المجال.

فمن ذلك قوله تبارك وتعالى:﴿**وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ** ﴿١٤﴾﴾[العنكبوت :14][1].

ومما جاء في قول الزمخشري فإن قلت: فلما جاء المميز أولا بالسنة وثانيا بالعام؟ قلت: لأن تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيقي بالاجتناب في البلاغة، إلا إذا وقع ذلك لأجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم أو تحويل أو تنويه أو نحو ذلك[2].

وذكر الزركشي تفسيرا آخر لهذا الآية في قوله: ومنه قوله تعالى :<< **فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامًا** >>، فذكر في مدة اللبث السنة وفي الانفصال العام؛ للإشارة إلى أنه كان في شدائد في مدته كلها إلا خمسين عاما قد جاء الفرج والغَوْث؛ فإن السنة تستعمل غالبا في موضع الجذب، ولهذا سموا شدة القحط سنة .

قال السهيلي: ويجوز أن يكون الله سبحانه قد علم أن عمره كان ألفا؛ إلا أن الخمسين منها كانت أعواما فيكون عمره ألف سنة ينقص منها مابين السنين الشمسية والقمرية

[1] - حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص 159.

[2]- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج4، ص 540.

فالخمسين خاصة، لأن الخمسين عاما بحسب الأهلة أقل من خمسين سنة شمسية بنحو عام ونصف [3] .

والحق أن العدول عن لفظة السنة إلى لفظة العام في تلك الآية أو إيثار إحداهما دون أخرى في غيرها من الآيات – إنما يرتد إلى خصوصية كل منهما في الدلالة على معنى الحول حيث تختص السنة –كما تقول المعاجم بالحول الذي يكون فيه الجدب أو الشدة ويختص العام بما فيه الخصب أو الرخاء [4].

ومن ذلك أيضا العدول عن فعل الإيمان إلى فعل التقوى في قول الحق تبارك وتعالى:﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢١٢ ﴾[البقرة : 212]

وفيما ذكر الزمخشري في بيان سر العدول عن لفظ الإيمان إلى لفظ التقوى قوله << فإن قلت: لم قال :<<مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ >>، ثم قال:<< وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ >>؟ قلت: ليريك أنه لا يسعد عنده إلا المؤمن المتقي، وليكون بعثا للمؤمنين على التقوى إذا سمعوا ذلك[1].

ومن ثم فإن في العدول عن صفة الإيمان إلى صفة التقوى – في هذا السياق – تسفيها لهؤلاء الساخرين، وإبراز للمفارقة بين تعالي الساخر بزينة الحياة الدنيا، وتعالي المسخور منه على تلك الزينة اتقاء للافتتان بها، أو الانغماس في متاعها الآني الزائل [2].

*في هذه الآية الكريمة عدول عن فعل الإيمان إلى فعل التقوى، حيث كان مقتضى السياق أن يقال: الذين آمنوا فوقهم يوم القيامة، والسر وراء هذا العدول هو ليرينا الله تعالى أنه لا يسعد عنده إلا المؤمن المتقي وليكون بعثا للمؤمنين على التقوى.

[3] - الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، ج3 ، ص 386.
[4] - حسن طبل ، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص 160.
[1] - الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج1، ص421.
[2] -حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص164،163.

ومن ذلك أيضا العدول عن لفظ الإكمال إلى لفظ الإتمام في قوله عزوجل:﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي ﴾[المائدة: 03].

واللفظان يتفقان– معجميا–في الدلالة على معنى واحد هو إزالة النقص، ولكنهما يفترقان بعد ذلك؛ إذ يختص الإتمام – كما ذكر بعض المفسرين – بالدلالة على إزالة نقصان الأصل، والإكمال بالدلالة على إزالة نقصان العوارض بعد تمام الأصل[3].

جاء في قول الزركشي: العطف يقتضي المغايرة، فقيل: الإتمام لإزالة نقصان الأصل، والإكمال لإزالة نقصان العوارض بعد تمام الأصل؛ ولهذا كان قوله تعالى:﴿ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞ ﴿١٩٦﴾﴾[البقرة : 196]؛ أحسن من "تامة"، فأن التمام من العدد قد علم؛ وإنما بقي احتمال أنقص في صفاتها، وقيل"تم" يشعر بحصول نقص قبله "وكمل" لا يشعر بذلك. وقال العسكري: الكمال اسم لاجتماع أضعاف الموصوف به والتمام اسم الجزء الذي يتم به الموصوف؛ ولهذا يقولون: القافية تمام البيت، ولا يقولون كماله[1].

أما العدول عن لفظ الإكمال إلى لفظ الإتمام في الآية الكريمة فذلك لأنه متعلق الإتمام هو النعمة التي ظفر بها المسلمون تدريجيا حتى أوفت على غايتها عند نزول تلك الآية، ونحن بذلك نرجع الرأي القائل في تفسير النعمة لأنها نعمة ظهور الدين ونصر المسلمين على أعدائهم، وأن تمامها كان يفتح مكة ودخولهم لها آمنين ظاهرين، ولعل ما يدعم هذا الرأي قوله سبحانه قبل ذلك – في الآية ذاتها – مخبرا عما آل إليه أمر الكفار من قهر وإذلال:﴿ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِ ﴿٣﴾ ﴾.[المائدة : 02–03] [2].

[3] - نفسه، ص161.
[1] - الزركشي، البرهان في علوم القرآن ،ج 4، ص85 .
[2] - حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص 162.

*من خلال ما تم التطرق إليه في تفسير الآية الكريمة نستطيع القول بأن في العدول عن لفظ الإكمال إلى لفظ الإتمام لفتا للمسلمين إلى تذكر فضل الله سبحانه وتعالى في هذا النصر الذي نالوه بعد أن كان مجرد أمنيات تجول في خواطرهم

.

خاتمة

وفي ختام هذا البحث نستطيع أن نلخص جملة من النتائج المتوصل إليها منها :

* يحتل أسلوب الالتفات مكانة متميزة في البلاغة العربية عموما وبلاغة القرآن الكريم خصوصا، حيث درسه علماء البلاغة خلال تتبعهم لموضوعات البلاغة ضمن أساليب مختلفة تعرف بالخروج عن مقتضى الظاهر .

*أن مصطلح الالتفات بتراكيبه واستعمالاته المختلفة في كتب اللغة تبين أنه يدل على معنى الصرف .

*أنه موجود عند القدماء إلا أنه لم يرد بهذا المصطلح، إنما في ثنايا مصطلحات عديدة كالانتقال والترك والتحويل والاعتراض...

*يحقق الالتفات عدة أغراض أهمها (تعظيم شأن المخاطب، قصد المبالغة، قصد الدلالة على الاختصاص، والاهتمام والتوبيخ...).

*ومن خلال الوقفة التطبيقية تبين أن الالتفات يحقق الإعجاز القرآني بنسبة كبيرة لِمَا له من أسرار، وما يتركه من أثر على السامع وإضفاء جمالية في التعبير اللغوي.

*أنه موجود بشكل كبير في القرآن الكريم ومن بين مجالاته ما يلي:(الصيغ، العدد، الضمائر، الأدوات، البناء النحوي، المعجم).

*أن الكشف عن جمال هذا الأسلوب في القرآن الكريم هو الكشف عن منبع من منابع الإعجاز القرآني .

تم بحمد الله

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1-ابن الأثير المثل السائر: أحمد الحوفي، بدوى طبانة، دار نهضة، مصر، ط .2

2- أحمد الحملاوي، زهر الربيع في المعاني والبيان، المكتبة التوقيفية، القاهرة، مصر .

3- أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان،ط3 ،(1414 هـ -1993م).

4 – الباقلاني: أبو بكر، إعجاز القرآن، دار المعارف ، مصر.

5- الثعالبي: أبي منصور، فقه اللغة وسر العربية، تح: ايميل نسيب ، دار الجيل، بيروت.

6- حسن اسماعيل عبد الرزاق، البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة ،ط2007،1م.

7- حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة،(1418 هـ -1998 م).

8- خديجة محمد أحمد البناني، الالتفات في القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف، (أطروحة ماجيستر مخطوط)، إشراف :علي محمد العماري، جامعة أم القرى -السعودية (1414/1413هـ) .

9- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة .

10- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، مكتبة العبيكان، الرياض،ط1 (1418 هـ -1998 م).

11- شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ ، دار المعارف، القاهرة، ط.9

12- صلاح عبد الفتاح الخالدي ،إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني ،دار عمان، ط1 (1421هـ -2000م)

13- عاطف فضل محمد، البلاغة العربية، دارالميسرة، عمان، ط2 (1436هـ ـ 2015م).

14- عبد الحميد أحمد هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، دار صيدا – بيروت (1429هـ -2008 م).

15- عبد الرحمان الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها ، دار القلم ،ط1 (1416 هـ - 1996 م).

16- العسكري:أبي الهلال، الصناعتين، تح : مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط2 (1409هـ -1989 م).

17- عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1(1427هـ-2006م).

18- عبد الفتاح حسنين، فن البلاغة ، دار غريب ، القاهرة ، 2006م

19- عبد الفتاح لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي (1424هـ-2003م).

20- ابن عبد الله شعيب، الميسر في البلاغة العربية دروس وتمارين، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.

21- عبد اللطيف شريفي، زبير ذراقي، الإحاطة في علوم البلاغة، دار المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004م.

22- عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح التخليص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب ، القاهرة ،(1420هـ ـ 1999م).

23- بن عيسى باطاهر، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات،دار الكتاب الجديدة المتحدة ، ط1، كانون الثاني ، يناير .2008

24- الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل ، دار الكتب، العلمية ، بيروت ، لبنان.

25- ابن فارس، مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1(1420هـ ـ1999 م).

26- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح : عبد الحميد هنداوي، دار العلوم ، القاهرة ، ط1 (1419هـ -1999م).

27- ابن كثير، دلائل النبوة من طريق ابن عباس في باب اعتراف مشركي قريش بما فيه كتاب الله من الإعجاز السيرة النبوية، تح: مصطفى عبد الواحد، دارالمعرفة، بيروت، 1402هـ.

28- محمد أبو موسى خصائص التراكيب، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط4 (1416هـ - 1996 م) .

29- محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب، علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني) المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس – لبنان، ط1، 2003م

30- محمود بن حمزة الكرماني، أسرار التكرار في القرآن، تح : عبد القادر أحمد عطا ، دار الفضيلة.

31- محمد حسين أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، القاهرة.

32- محمد حسين سلامة، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، دار الآفاق العربية، القاهرة ، ط1(1423هـ -2002م).

33- محمد رشيد رضا ، القرآن الحكيم، مطبعة المنار، مصر،(1338هـ ـ 1298 م).

34- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت ،(1402هـ - 1981م).

35- ابن المعتز، البديع، دار الميسرة، بيروت، ط3 (1402هـ ـ1982م).

36- ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ،ط4 (2005م) .

37- يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني – علم البيان – علم البديع، دار المسيرة ، عمان ، ط1 (1427ه -1996م).

فهرس الآيات

فهرس الآيات

الآية	الرقم	السورة	الصفحة
(ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥)	5-2	الفاتحة	21
(ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥)	5-4-3-2	الفاتحة	53
(وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ۝٥٠)	50	البقرة	35
(خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧)	07	البقـرة	49
وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ)	49	البقرة	35
(فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلاً غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ۝٥٩)	59	البقرة	61
(وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ۝٨٧)	87	البقرة	40
(زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝٢١٢)	212	البقرة	74
(نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣)	3	آل عمران	32

(لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ ۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾)	162	النساء	70
(ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي)	03	المائدة	74
(ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِ ﴿٣﴾).	03-02	المائدة	
(وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٩﴾)	99	الأنعام	39
(وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ)	99	الأنعام	99
(ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓ)	99	الأنعام	39
(كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ ﴿١٤١﴾	141	الأنعام	39
(قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾)	29	الأعراف	45
(وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾)	44	الأعراف	68
(قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾)	61-60	الأعراف	36
(قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ)	158	الأعراف	58

(وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَـٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾)	12	التوبة	61
(۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَـٰكِينِ وَٱلۡعَـٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَـٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾	60	التوبة	64
(هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾)	22	يونس	15
(هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ)	22	يونس	24
(هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾)	22	يونس	55
(قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٨﴾)	78	يونس	14
(إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾)	54	هود	44
(وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَـٰمٗاۖ قَالَ سَلَـٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ﴿٦٩﴾)	69	هود	71
(وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَـٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَ ...)	105	الإسراء	61
(فَمَا ٱسۡطَـٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾)	97	الكهف	34
(وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَـٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾)	89-88	مريم	25

(إنا سخرانا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراف والطير محشورة كل له أواب.)	19-18	طه	
(قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ﴿٦١﴾)	21	طه	17
(۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٢٢﴾)	22-19	الحج	52
(فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾)	10	الشعراء	50
(نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴿١٩٥﴾)	193-195	الشعراء	6
(وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾)	14	العنكبوت	73
(وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٣﴾)	23	العنكبوت	21
(وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٤﴾)	64	العنكبوت	37
(وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ ﴿٥٠﴾)	50	الأحزاب	22
(مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾	02	فاطر	63
(وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾)	09	فاطر	63

(وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝٩	9-8	فاطر	27
(وَمَا لِىَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٢٢)	22-21	يس	27
(ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ۝٢١ وَمَا لِىَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٢٢)	22-20	يس	59
(وَمَا لِىَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٢٢)	22	يس	22
(وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤)	4	ص	62
(فَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلۡنَٰهُ نِعۡمَةٗ مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمِۭۚ بَلۡ هِىَ فِتۡنَةٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٤٩)	49	الزمر	62
(وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ۝٧٣)	73-71	الزمر	67
(وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ)	05	فصلت	50
(ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ۝١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِى يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝١٢)	12-11	فصلت	28
(ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ۝١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِى يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ)	12-11	فصلت	56
(فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥)	5-4	الدخان	27
(وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ)	16	محمد	52
(إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ۝٢٥)	25	الذاريات	71

65	الواقعة	70-63	(أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾)
61	المجادلة	22	(أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾)
42	الممتحنة	2	(إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾)
26	الانسان	22-21	(وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا إِنَّ ﴿٢١﴾ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾)
23	الكوثر	2-1	(إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾)
60	الإخلاص	1	(قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾)

فهرس الموضوعات

فهـــــرس الموضوعات

مقدمـــــة .....أ-ب-ج-د

مدخـــــل.....**6-11**

الفصل الأول:الالتفات ماهـــــيته وشروطه

المبحث الأول: ماهية الالتفات وآراء القدماء والمحدثين فيه.....13

م1: مفهـــومه **13**

أ – لغة.....**13**

ب-اصطـــلاحا **14**

م2:آراء القدماء فيه.....**14-19**

م3:آراء المحدثين فيه.....**19-21**

المبحث الثاني :شروط الالتفات مجالاته وأغراضه.....21

م1: شروطه.....**21-22**

م2: مجالاته **22-26**

م3:أغراضه وفوائده **26-29**

الفصل الثاني : تنوع صور الالتفات وبلاغته في القرآن الكريم

أولا: الصيغ.....**32-48**

ثانيا: العدد.....**49-53**

ثالثا : الضمائر.....**53-64**

رابعا:الأدوات.....**64-68**

خامسا:البناء النحوي.....**68-72**

سادسا:المعجم.....**72-75**

الخـــــاتمة.....**77**

قائمة المصادر والمراجع.....**79-82**

فهرس الآيات.....**84-89**

فهرس الموضوعات **90**

ملخص:

وما لا شك فيه أن البحث في موضوع الالتفات كموضوع من مواضيع الدراسات القرآنية سيعين على ظهور كثير مما خفي من الأسرار البلاغية للقرآن الكريم، فمن هذا المنطلق كان عنوان البحث "جماليات الالتفات في القرآن الكريم"، محاولين الإجابة عن الإشكالية التالية: إلى أي مدى يمكن الكشف عن جماليات أسلوب الالتفات في القرآن الكريم؟

وبعد الدراسة والتحليل توصلنا إلى النتائج التالية:

*أنه يمتاز بكونه من الأساليب الجمالية الفنية التي تعبر عن أسرار وأغراض بلاغية لها تأثير في النفوس، ومن م فإن تنوع صور الالتفات في القرآن الكريم تُظْهِر إعجاز كتاب الله وأسراره البيانية.

الكلمات المفتاحية: جمالية ، أسلوب الالتفات، بلاغة، القرآن الكريم.

Abstract

There is No doubt That The Subject of Paying Attention is one of The Qoranic Studies That helps In Revealing So Many rhetoric Secrets In The Wholly Quran .Thus , We Have Follow : "The aesthetic of Paying Attention In The Wholly Quran " Traying By That to Answer The Following Research Problem :"Where do Find The Aesthetic of Paying Attention Style in The Wholly Quran? "

The data Analyses Show The Following of Finding :The Paying Attention is one of The Aesthetical Style That Expresses The rhetoric Purposes And its Secrets That have great impact on as a consequence ,The various images of Paying Attention That Show The Single in Quran and its rhetoric Secrets.

Key word:

aesthetic, Paying Attention ,Eloquence, Mysteries The Holy Quran.

تم بحمد الله